فاروق منيب

الجرح والوردة

دار الشروق

الجرح والوردة

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقياً : شروق - تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧١٥ - ٨١٧٢١٣ - برقياً : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE
SHOROUK INTERNATIONAL: 316/318 REGENT STREET, LONDON W1, UK, TEL: 637 2743/4, TELEX: SHOROK 25770G

إهداء

مرة أخرى .... إلى

زوجتى ثريا حمدى ...

كلمة صغيرة

في الطريق من حلوان إلى القاهرة كنت أدون فى مذكرتى الخاصة بعض الخواطر التى تسليني لقطع الملل خلال المسافة الطويلة ، ولأنى كنت متعبا إلى آخر المدى ، وجدت القلق يدفعنى أن أسال نفسى : هلْ انتهيت ؟ ! . فى تلك اللحظات كان الموت قريبا منى جدا . الدم محمل بالسموم ، ورأسى خامد ، والأورام تنتشر فى جسدى ، والألم يحتوينى كلى . كنت أحاول أن أدفع اليأس عن قلبي وعقلى بمحاولات صبورة مستمرة ، لكن هجمة الموت أقوى منى . ودخلت فى عالم آخر ، له تقاليده وسماته وأحزانه . الدم والإبر والأنابيب والتخدير والتحاليل والآهات والوجوه الصفراء وطلب النجاة ... الخ . وفى اللحظة الأولى التى وضعت فيها حقيبتى فى المستشفى أمسكت قلمى ، لأهرب من عالمى الجديد . صممت أن أخترق الأكتئاب الذى يلازمنى . عدت إلى أيام الطفولة والشباب المبكر وأيام القاهرة فى الخمسينات ، حيث كانت تعج بالموهوبين من كل صنف ... ومررت على كل الأماكن التى جاست فيها قدماى . ولم يكن همى أن أكتب قصة أو مقالة أدبية أو حتى يوميات فى الصحيفة . كان همى أن أفلت بجلدى من الموت المؤكد الزاحف إلىّ . وإلى هذه اللحظة وأنا أدفع العدم عن

روحى وجسدى ، وكل المعانى التى ترسبت فى عقلى ونفسى ووجدانى ، على مر السنين . ولعل كتابة القصة القصيرة كانت فرحة العمر الدائمة فى حياتى . وهذه الفرحة المستمرة تتكرر منذ عام ١٩٥٣ إلى الآن ، وحتى فى أحلك الأيام ، فإن الاستغراق فى كتابة قصة قصيرة يخفف الهموم. وليس هدفى أن أتحدث عن معنى القصة القصيرة ودورها فى أدبنا العربى وتاريخها وكتابها . فهذا الفن الجميل المكثف الشاعرى الواقعى ، قد أعطى أدبنا نكهة مثمرة . وربما كانت متعتى فى القراءة لا تقل عن لذة الكتابة . ومن حسن الحظ أنى عملت فى الصحافة الأدبية سنوات طويلة . أما الأساس ، فهو هذه الحياة الممتدة التى عشتها بين الفلاحين فى الريف المصرى ، وتجارب العمر ذات الطعوم المختلفة . والكاتب يتذوق ويمتلئ بالتجارب الحية كما يتذوق ويعرف وينضج من خلال الثقافة ، ومن الدعوات الاجتماعية العامة ، إلى القيم والمعانى التفصيلية التى تصبح حبيبة إلى قلب وعقل الفنان ، تدرجت فى هذا الطريق . إن كل إنسان عالم قائم بذاته ، مهما بدا من السطح أنه يتفق مع الآخرين . والنفوس البشرية ذات أعماق بعيدة ومعقدة وليس هناك أحكام قاطعة على الأعمال الأدبية الجيدة ، فكلما مر الزمن عليها ، كلما اكتسبت طعما وقيمة متجددة . وبصراحة أقول : إننى لم أشبع بعد من رحيق هذا الفن الأخاذ المشع . ولعل ما يثلج الصدر فرحا ، أن فن القصة القصيرة أصبح له تاريخ ممتد من أدبنا العربى ، وله أيضا قراؤه المعجبون به ، وله كتابه الذين يخلصون له ، وأنا واحد من العاشقين أو المحبين أحاول أن أتعبد فى محرابه . وقد منحنى هذا الفن المعنى ، فى وقت كان هجوم الموت قاسيا وعنيفا وصفيقًا . عدت أكتب القصة القصيرة من جديد. أتبتل عند مقامها. بعد أربع مجموعات قصصية هجم الذى لا يذكر اسمه ، ثم كانت مجموعتى الخامسة « عابرو سبيل » ، التى

صدرت عام ١٩٧٥ . وها هى مجموعتى السادسة ، ومن يدرى ربما كان فى العمر بقية لنواصل حب هذا الفن الجميل . ومن تجربتى أقول : إن كتابة القصة تحتاج إلى الدمع والدم قبل أن تحتاج إلى التزويق والزخرفة .

وربما كانت قصة تقريرية مباشرة أروع عشرات المرات من أحدث قصة تكتب بصيحة جديدة . إنى أهتم بلحم الواقع وعروق الأمل التى تبزغ منه ، رغم تناقضات هذا الواقع ومشكلاته . أيضا أعتقد بتفتح زهور وألوان القصة على أقلام الكتاب . وكلما ازداد هذا التنوع ، كلما ازدادت قصتنا العربية الحديثة ثراء وخصوبة وتأثيرا . وإنى أعرف زملاء لنا فى السودان والعراق والمغرب العربى والجزائر وليبيا وسوريا قد بلغوا مراقى عالية فى فن القصة القصيرة . وأصبح لكل واحد منهم أسلوبه المميز ، وروحه الداخلية ، وقضاياه وهمومه التى يطرحها من خلال قصصه . ولقد انتقلت أنا نفسى ، من كتابة القصة الواقعية المباشرة ، إلى القصة الواقعية الشعرية ، لكنى أعتقد فى النهاية أن التصنيف المتعسف للقصة على أساس مدارس نقدية يظلمها . وربما يسد الطريق أمام تطور الكاتب ونضجه . فالفن عملية إبداع وخلق مستمر . وأيضا ، فإن الرومانسية تكمن فى أعماق الواقعية . وما من عمل أدبى عظيم إلا ويجمع بين أعطافه الواقعية والرومانسية معا . أيضا نتخلل عروق التجريدية والسيريالية والعبثية الواقعية . وكما تفاجئنا الحياة بدموع الفرح والبكاء فى آن واحد معا ، فإن القصة يمكن أن تجمع هذين النقيضين معا . وكما ينبثق الفرح الإنسانى من درقة الأحزان الصلدة ، فإن القصة تبزغ من معاناة الفنان وعذابه ، حية ومفعمة بالأمل . ونحن نكتب لنغير من صورة الواقع المختلفة ولنكثف قيم العدل والحرية ولنحتفظ بنقاء وصدق وتلقائية طفولتنا .. ولا أحد يعرف لماذا نكتب ؟ . فالفن هو الداء والدواء معا . هو

العذاب والفرحة ، هو الضرورة الحتمية كالحرية لبنى البشر .

وفى كلمتين ، نحن نكتب لنتمرد ونثور على الواقع ونهندس الأرواح البشرية ، ولنمحو الاستغلال والأستبداد ، من على جبين الإنسان ، وننفّر أيضا من صورة القبح والأبتذال والسطحية والغلظة والصفاقة ، التى يزخر بها الواقع . ونحن أيضا نصمت فى بعض الأحيان ، حين تفقد الكلمة معناها وتزيف ، وتصبح وسيلة تضليل وخداع وكذب في أيدى الكتاب .

والقصة القصيرة فى النهاية هى بناء عمر ، وذكريات أيام ، ونبض حياة مستمرة ، ومعنى وتجارب وثقافة ومعاناة . وعفوا لأنى لا أستطيع أن أقول شيئا عن القصص التى بين يدى القارئ الآن . فهى منه وإليه ، مضافا إليها محبتى .

فاروق منيب
مارس سنة ١٩٨١
هارو ـ المملكة المتحدة

النجم الصغير....

فى قوقعته كان وحيداً يتأمل ما حدث . لا شيء يطفو على السطح . ذرات من الألم والجراح ، كلها مخزونة فى داخله . أسرار عميقة لا يعرفها أحد . لماذا يجتر الذكريات بهذه الطريقة ؟ ! . لم يتعود على الكتمان ، أو الروح المخنوقة . فى الطفولة والصبا كان بجبوحا . قلبه يفيض بحب البشر . الآن تضيق الدائرة من حوله . وحده بين الجدران والألوان الداكنة . سجن انفرادى ، مقيت يود الهروب منه . أطياف اليأس ترفرف حوله ، تدف بأجنحتها الكئيبة . دفق اللحظات لا يعطيه ما يريده ، من الأمل والحب والقوة . أستمر ينحت ويقلب فى الذكريات ، حتى هذه أصبحت أسطوانة مكررة لا يطيق الرضوخ إليها . البرودة تجتاح صدره . تفر منه حلاوة المفاجأة ، ودفء الصداقة والمعارك الحامية . أصبح يسبح فى نهر الهزيمة الشريفة . بزغ له نجمه من وسط الركام . رحب به ، محتضنا إياه . تبادلا العتاب من خلال مودة العمر . قال له : عذبتنى يا صغيرى . خفف علىّ أرجوك . نظر إليه النجم البازغ مبتسما وضاحكا ومشرقا :

ـ عفوا يا بابا ، لا أقصد شيئا .

أجلسه قبالته وراح يتأمل وجهه ... كان ناعماً ودقيقاً ، وفى لون اللبن

الحليب . خفق الفرح فى قلبه . تفتحت طاقة الجمال فى روحه . امتلأت نفسه بالرضى والشبع . سبحان مغير الأحوال . دنيا كتبت علينا . العينان فى العينين والإحساس فى الإحساس ، وخيط رفيع مشدود الإرادة ، يربط الأب بابنه .

قال له النجم الصغير :

ـ متى تشترى لى الحصان ؟ ! .

قال الأب :

ـ قريبا إن شاء الله ...

قال النجم :

ـ لا ... أريد أن أعرف الآن ...

قال الأب :

ـ فى عيد ميلادك ...

الآن يسبح النجم فى عالمه ، بينما يجدف الأب ليخرج من قوقعته. الأطفال أحباب الله . ضحك الأب فى سره . من قال هذا ؟ . الأطفال أحباب اللعب والشقاوة والشجر والطيور والأنهار والحيوانات والمكر فى بعض الأحيان . ندم على أنانيته المفرطة . تذكر يوم ميلاد النجم الصغير . كانت الغارات تجتاح أرض البلد . جاءت ساعة الطلق الحاسمة للأم مع لحظة انطلاق المدفع المضاد للطائرات . وكلما أزداد عناء الأم ، كلما أزدادت الغارات كثافة وحدة . مسح وجه الأم المجهد بحبات العرق الكريستالى اللامع . وأخيرا انبثق النجم مبللاً بدمائه وصرخاته . كان يتحدى القنابل والصواريخ القاتلة . فتح عينيه على الواقع .

ضرب الهواء بيديه . قطعوا له الحبل السرى ، ثم طببوا جراحه . هدأ ليلتهم ثدى الأم فى اليوم التالى . قبلته الأم والأب لأول مرة فى حياته . تسيل دماء أبيه أمامه يوما بعد يوم . يرى فى صمت غريب . لا يملك غير القبلات يرسلها إليه فى الهواء أثناء اللعبة الخطرة . يفهم ، ثم يكتم فى داخله . لا يكاد يبين خيط الحزن من القلق من الخوف فى روحه . تعجز كلماته عن الإفصاح . يريد أن يخترق كثافة الظلمة بالحصان المطهم . قدم له الأب كوبا من اللبن . يود أن ينطلق معه فى بحبوحة من الفيض الروحى . الأفكار والخواطر والرؤى المجسدة تضرب رأسه بعنف شديد . الندم والخوف مع المسئولية والأمل . هذه الحياة حلوة بكل معاناتها ومخاطرها وتعقيداتها التى لا تنتهى . كان يريد أن يفض غلالة الضعف من نفسه . تدفقت الكلمات على لسانه غير مسموعة . طبت طفلاً وصبياً ورجلاً وشيخاً يا صغيرى ، ومتعك الله بجمال الدنيا وصدقها ومعاركها . هل أحكى لك فصولاً من قصة حياتى ؟ . حاول أبوك أن يقلل دائماً من كمية الكذب والنفاق فى نفسه ، وأن يعيش شريفا . إنى مهموم بك وببلدى وبالعالم كله . لم أتعود الكسل أو البلادة أو الاستنطاع . ولو حدثتك عن مثلى الأعلى لقلت لك ببساطة : أحب أن أكون «جدعا» كأولاد البلد الذين حاربوا الفرنسيين . أنهزم ... أفشل ... نعم ... أتخاذل .. لا . ولدى : هل تعرف كم كان نهرو يحب ابنته أنديرا . ؟ . صمدت أنديرا وقاومت كل المغريات والأوضاع الفاسدة فى الهند . ألف لها أبوها كتابا يحوى تاريخ العالم كله . وكان الفلاح الطيب العجوز ، عم شاذلى يعرف الساعة بالفطرة ، يوقظ حفيدته الذاهبة إلى المدرسة كل صباح ، حاسته السادسة لا تخطئ . من المهم الآن أن تكون يا ولدى مسئولاً عن زوج الحمام الذى تربيه فوق النافذة ، وتهدهد خروفك . تصغى وترى جيداً الانتقال من الشتاء إلى

الربيع ، لا تجعل أحداً يسوقك مرغما أمامه ، أو يحرك مستسلماً . إنى لا أحب المواعظ المبتة .

* * *

وهمس النجم لأبيه :

ـ أحبك يا أبي .

قال الأب :

ـ وأنا كذلك يا حبيبي .

ـ إذن متى تشترى لى الحصان ؟ .

ـ عندما تطعم خروفك .

وفى لحظة تعانق النجم الصغير مع أبيه . القلب على القلب ، والذراع تلتحم مع الذراع . اتحد الشعور . واختلطت ذرات الضعف والخوف والندم مع ذرات الحب والمقاومة والأمل . من يعطى القوة إلى الآخر؟ . إلى أين تمضى الأيام ؟. انحسرت موجة الهزيمة القاتلة وسط عنف العواطف العنيدة . وانتشر الضياء يغطى جدران الحجرة . لمع لون الدم الأحمر القانى وسط الألوان الأخرى كقوس قزح الشتوى الجميل ، ثم ساد الصمت من جديد .

* * *

نـحـو الـنــهــر....

كنت خالى البال ، تتهادى إلى نفسى راحة لطيفة . وكان الجو ربيعيا منعشا . شربت كوبا من اللبن الحليب ، ثم فطرت بيضتين ، وعيشا طازجا ساخنا. ولم يبق أمامى إلا رياضتى اليومية المفضلة فى المشى. قال لى الأطباء: إن المشى صباحا يطيل العمر . وأنا شغوف بطول العمر منذ زمن بعيد . أرتب كل شىء حتى لا أدخل فى شيخوخة مملة كئيبة . الآن لدى حديقتان للبيت ، واحدة أمامية تزهو بالورد البلدى الناصع الاحمرار ، والأخرى فى الخلف ، يفرشها الياسمين وأشجار المانجو والبرتقال وعلى سطح البيت أقفاص عصافير الجنة والديوك الرومى والأرانب التى أغرم بها ، وزهريات الزرع الأخضر اليانع . الآن أتأهب لرحلة كل صباح ، المشى فى الصباح ساعة ، حتى لا أصاب بتصلب الشرايين . أطعمت خروفى وعنزاتى الصغرى بحزمة البرسيم ، وحنوت عليها وأنا سعيد . أرتديت أخف الثياب ، وفكرت فى اتجاه رحلة اليوم . معظم الطرق جاست فيها قدماى ، وفجأة طرقت ذهنى فكرة جديدة ملأتنى طرباً وجيشاناً . لماذا لا أطلع إلى التل فى هذا الصباح الجميل ؟. سكت وأنا أحتضن فى صدرى شعاع الفرح القادم فى دفء . أصبح من عادتى تأمل الأفكار المفرحة . سرت النشوة فى جسدى كله إلى أن وصلت إلى قدمى ،

فأحسست ببهجة العافية فى أصابعى . أتوكل على الله بدون تردد . المشوار طويل ، والمكان مرتفع ، لم أصعد إليه منذ أيام شقاوة الطفولة وطيش الشباب المبكر . ألقيت نظرة سريعة على أشيائى وطيورى وغنزاتى . لفحتنى نسمة هواء طرية ، فتفاءلت . استرخيت مندمجاً فى فرح الطبيعة الطيبة . الأذن والعين والقلب ، كل أولئك يتماوج مع الخضرة الممتدة والمياه المنسابة الرائعة ، والأشجار العالية ، التى تشارف الأفق . تخلصت روحى وجسدى من كل الأحزان والقلق اليومى السخيف . اللحظات حلوة وصافية تتدفق على مهل إلى نفسى ، فأحتفل بها كأنى فى عرس كونى ، أتلقى تهانى الأحباب والأصدقاء . ترف أجنحة الحب فى قلبى . أصبحت أسبح على الأرض مع التيار . غمزت صنارتى ، فانساب السمك الفضى فى حجرى ، دون أن أسعى إليه . لم أكن أشعر بأنى أرتفع وأرتفع . التل ما يزال بعيداً ، ولكن عينى تشرخ فطائر النسمات والأشجار إليه . وقفت ودرت حول نفسى من كل اتجاه ، مبهورا وفرحا ومنتشيا بالتيه الذى يحتوينى بين أحضانه . وفوق رأسى كانت الحمامات والعصافير تظلل الطريق ، تطفو ثم تعلو فى درجات متناسقة متناغمة خلال السماء القريبة . كنت خائفاً أن يضيع منى شىء لم أره . أعود إلى أيام الطفولة ، حيث كان التل يزهو بالخضرة اليانعة ، تكسو أرضه وسماءه الطبيعة الساحرة . أشتاق أن يتواصل الود الخالص القديم ، الذى تربى بينى وبين التل ، على مر السنين . هأنذا أعود إليه فى هذا الصباح ، بعد غياب طويل . كنت أمشى فى دوائر صغيرة ، حتى أكتسب حلاوة كل لحظة ، وكل شبر من الأرض الخالدة . وفى بعض الأحيان كنت أعود إلى شجرة أو زهرة أو قوقعة ، لأتأملها من جديد ، لم أعد أمشى أو أسبح ، بل أغوص وأغرق فى كل حفنة رمل وأخرى .

أصابنى خدر لذيذ ، لم أجربه من قبل . صفقت وأنا أبتهل إلى الله ، أن يديم نعمته على الإنسان . تماديت فى التلكؤ حتى أشرب الذرات الطائرة والمستكنة فى أعماق الوجود . وفى لحظة واحدة ، أحببت العالم كله . نسيت كل التعب والمعاناة . مشيت ومشيت ... سبحت وسبحت ، طرت وطرت ... أرتفعت وارتفعت ... سموت وسموت ... وعينى ما تزال على التل . أريد أن أعود إلى طفولتى وصباى ، حدسى لا يخيب ، سوف أعود مفعما بالفرح ، كسرة الخبز فى يدى ، وجرعة الماء فى فمى ، والأغنيات الاملة فى صدرى ، تماما كأيام الطفولة الأولى . لا شىء يضيع . هتفت بأعلى صوتى ،فجاءنى الصدى من قمم أشجار الكازورين والكافور ومن السنة العصافير... أحبك أيتها الدنيا الصغيرة . كنت أقبض على مصباحى ، وسط شعاع الشمس الساطعة . لا شىء يضيع . تحسست صدرى ، فإذا نبض القلب يرف مع أجنحة الطيور التى ترفرف فوق رأسى . الآن يقرب التل . تركت النهر ورائى ، لكن العرس ما يزال قائما . أعانق الأحباب . نضحك معاً ، نسترجع الذكريات معاً ، نتجمع فى بلورة واحدة ، نلم الشمل بعد طول فراق . فردت ذراعى على أكتافهم خوفا عليهم . جرينا معا ، ثم قعدنا معا ، غنينا معا . ابتسمت لأنى سرحت فى خيالى المجنح . قلت : وداعا ... فقالوا : لا ... لا ... سوف نبقى معا . عرجت إلى هدفى . بدأ الطريق يتلوى . الأرض خشنة بعض الشىء . قدماى تغرزان فى الرمال : تخلفت الطيور وتركتنى وحدى . حرارة الشمس تشتد . أسرعت الخطى ، وقعت ، فقمت مندهشا . شرخ قلبى إحساس غريب . ما الذى حدث ؟ . طردت وساوسى وهواجسى وظنونى . هل أعود إلى أحوالى وعاداتى القديمة ؟ . همست داعيا ... اللهم نجنا مما نخاف . أقتربت من

التل . أين جميزة زمان ؟ . هل تغيرت معالم المكان ؟ . وعن يمينى وأنا ألهث إلى أعلى بانت بعض الملامح . كان هناك كتل من الصخور تعترض الطريق ، وأكوام من النفايات تتناثر . وزكمت أنفى الرائحة التى أخاف منها . وفى لحظة خاطفة رأيت المساحة الواسعة . وحبست أنفاسى ... كانت المقابر تتناثر على الرمال الجرداء ... غشيت عيناى باللون الأبيض ... نبات الصبار يتسلل إلى قلبى ... سقطت عافيتى إلى قدمى ... لكنى وبسرعة مذهلة ، يممت وجهى إلى أسفل ، مطلقا ساقىّ للريح ... كنت أجرى ... وأجرى ... وأجرى نحو النهر ...

الصديق والنخلة

مهداة إلى روح صديق عبد الحميد عبد النبى

فجأة بزغت لى نخلتى القديـمة من جديد .. رأيت صاحبى فى قمتها يهزها .. تساقط الرطب الجنى . قضمت قطعة من التفاحة فى يدى .. نظرت إلى الأرض .. ابتسمت لماذا يأتى صاحبى الآن ؟ تسللت نظراتى إلى الجالس جوارى .. شاب فى مقتبل العمر ، يكتنفه مهرجان من الخواتم والنياشين المتواضعة .. تتحلى رقبته بعقد رخيص دس قدميه فى حذاء ذى كعب عال .. طلب منى أن يشعل سيجارته . أعطيته عيدان الثقاب . انفتح باب المودة بيننا قلت له :

ـ من أين ؟ .

ـ من أسبانيا .

ـ جئت للسياحة ؟ .

ـ نـعـم ...

ـ أسبانيا جميلة ، أليس كذلك ؟ .

ـ فى هذه الأيام فقط .

ـ وقبل ذلك ؟

ـ كانت جحيما لا يطاق .

فهمت مغزى كلماته .. عاودت قضم تفاحتى .. لا يزال صاحبي يداعب خيالى .. أوصيته أن يأخذ حذره ، حتى لا يسقط من هذا الارتفاع الشاهق .. رد عليّ طيفه :

ـ لا تخف ... تعودت أن أهز هذه النخلة ، فيتساقط الرطب ... إنها سعادتى ... أن أقدم طعاما للآخرين ... أرجو أن تأكلوا جميعا ...

قلت :

ـ هؤلاء غرباء ... لا يعرفون طعم بلح بلدنا .

قال الشاب

ـ لو تذوقوه ، فسوف لا ينسون حلاوته ...

قال الشاب :

ـ وأنت ... من أين ؟

قلت :

ـ من مصر ...

اشرقت ابتسامة على وجهه :

ـ بلد كليوباترا ؟

ـ نعم .. وبلد السيدة والحسين كذلك ! .

سرح بصرى مع المارة .. بشر من جميع بقاع العالم .. إنه مهرجان الأوكازيونات السنوى .. أطفال وشيوخ ونساء وشباب .. وكل واحد محمل برغباته .. ما أحلى أن يجلس الإنسان ليتفرج على الآخرين . مهرجان من

الأزياء ، انجليزية وعربية وفرنسية وأمريكية وصينية وأفريقية ... تطلعت إلى ثياب صاحبي فوق النخلة .. كان يرتدى ملابس الفلاحين المصريين .. ربط جلبابه الأبيض الشفاف بحزام من الصوف .. وضع على رأسه طاقية بسيطة ، حافى القدمين . يشع وجهه بنور الحياة ورونقها .. عريض الجبهة حلو السيماء .. منسق التقاطيع . فى كل دقيقة يهز جذع النخلة ، فيتساقط الرطب على رءوس السائرين .. يأكل وهو يضحك ضحكته المجلجلة التى تعودت عليها .. ينظر بطرف عينه اليسرى ، ثم يترك اليمنى نصف معلقة . يتحدث بلغة أهل الريف الطيبين ... يا جماعة لماذا لا تأكلون بلحى ؟ قلت للجالس بجوارى فجأة :

ـ هل تحب البلح ؟ .

تردد قليلا ، ثم قال :

ـ نعم ، إنه فاكهة لذيذة ..

صمتنا نحن الإثنان .. انتابه نوع من القلق والتوتر على أثر سؤالى .. لم يكن على أرض الشارع المكتظ بلح من أى نوع .. همس الشاب :

ـ إننى أحب الكريز .. لكن سعره مجنون .. مجنون مجنون .. ألا تحبه ؟ .

قلت :

ـ أحبه .. لكنهم فى بلادنا لا يأكلونه ...

تململ فى جلسته . أردت أن أواصل معه مودة الحديث :

ـ ما أخبار الانتخابات الأسبانية ؟ .

ـ لا بأس .. أهم شىء أنها تجرى بعد أربعين عاما من الحكم الديكتاتورى المظلم .

– هل تعلم أن بين أسبانيا والعرب وشائج قديـمة . ؟

– ذلك تاريخ مضى .. يهمنا الحاضر ومشكلاته .

– هل تحب لندن ؟

– مدريد أحب مدينة عندى فى العالم كله ... تركت هناك حبى وذكرياتى ...

واهتزت النخلة بصاحبي .. أشفقت عليه من السقوط فجأة .. كدت أهتف .. حاسب .. حاسب .. لن يشعر بموتك أحد .. كان صاحبي يحب المغامرة التى تنفع الناس ، طموح وحبوب .. يشيع البهجة فى المكان الذى يحل به .. يدفعه الفضول وحب المقالب أن يرى الآخرين فى موقف حرج . ها هو يتأرجح فوق النخلة ، يضحك من قلبه .. يسخر من نفسه ومن الآخرين .. أمسك بسعف النخلة وحشفها .. تجمع المارة حول إحدى الفاترينات ، التى حشدت قصص شكسبير الشهيرة ، مجسدة بشخصياتها كوسيلة للإعلان .. يمسك الأطفال بأقماع الجيلاتى فى أياديهم .. الشحاذون يتمددون على الرصيف .. لا فتات المحلات الكبرى تحذر من النشالين .. إنه موسم الصيف ، والنهر السائل يسبح فى قلب المدينة .. ما الذى أتى بصاحبي وسط هذا الضجيج هنا والنخلة والبلح ومحبة الأصدقاء .. ؟

* * *

تحملنى الذكريات على جناح السنوات ... الماضى له طعم ولون ورائحة .. كل لحظة بمعناها ، الحلو والمر على السواء ، والمضحك والمبكى ، الهازل والجاد ، الحنون والخشن ، لماذا تبزغ ذكريات الماضى أمامى الآن ؟ تمسك بعنقى إلى النهاية ، تفرحنى وتشقينى ، تهزنى من الأعماق .. قلت لصاحبي فوق النخلة :

ــ إنزل لحظات ..

ضحك وقال :

ــ لا .. لن أنزل .. سوف تظل هامتى سامقة ...

رجوته وأنا خائف :

نضع فى كل فم بلحة .

ــ أخشى عليك من هذه التلقائية .. لن تستطيع أن تطلق ضحكة تهز جذع النخلة :

ــ المهم أن أكون راضيا عن نفسى .. أليس كذلك ؟ !

نبشت أيامى معه ، همست :

ــ هل تذكر تمثيلية رئيس مجلس الإدارة ؟ .

قال وبقايا انفجار ضحكته السابقة على محياه :

ــ وهل يمكن أن أنسى ؟

* * *

تجسدت فى خاطرى إحدى لعباتنا المسلية القديمة ... كنا نعبث ونضحك ، لكن الأصل فى نفوسنا كان الطهر .. انتهزنا فرصة غياب رئيس مجلس الإدارة .. كنت أمثل دوره بإتقان .. أدخل لأفتش وأرى بروفات العمل .. أغضب إذا رأيت إهمالا فى مكان ما ..

يقف الجميع ضاحكين ، يفهمون اللعبة .. الوحيد الذى كان ضحية التمثيلية زميل جديد يتدرب .. لم يتطرق إليه الشك لحظة واحدة فى هزلية التمثيلية .. وقف

أمامى يترجم برقية عاجلة من وكالة «رويتر» .. بدأ ... رويتر... لندن ... جعلت أعيد الاسم أمامه مرات ... وبنغمات مختلفة .. لاندن .. لوندن ... لونديم ... والزميل الجديد يكرر ورائى مقتنعا .. لأنه يريد رضاء رئيس مجلس الإدارة .. أخيرا شعرت بالندم .. صارحته بعبثنا .. لم يصدق .. أخرجت له بطاقتى الشخصية .. ضحكنا جميعا ...

* * *

كان صاحبى يحب المسرات الدائمة ... الحقيقية والعبثية والهزلية ، لكنه فى النهاية يحتفظ بنفسه البيضاء كاللبن الحليب .. أول مرة رأيته ، توجست خوفا من فضوله الريفى ... لكنى أدمنت هذا الفضول فيما بعد . كان يلذ له أن يعرف الأسرار والخبايا التى لا يهتم بها أحد .. فضول لطيف لا يؤذى أحدا .

* * *

عدت إلى الأسبانى الجالس بجوارى .. تأملت خواتمه ونياشينه المتواضعة .. كان يرسل شعره كالمسيح .. يعلق صورة جيفارا على ذراعه اليسرى .. يتفرج على المارة بعينيه الخضراوين الجميلتين .. يتميز بأنف رومانى دقيق ، قام واشترى خوخة وضعها فى حقيبته .. هبت نسمات الصيف اللطيفة .. إنه يوم نادر المثال عندما تشرق الشمس فى قلب لندن .. يسود الفرح القلوب والأرواح .. يتخفف الناس من ملابسهم .. وصاحبى لايزال فوق النخلة يهزها ، لا يلتفت إليه أحد .. وحدى أجتر معه الذكريات والسلوى ــ لم أعد أستطيع أن ألمس كفيه .. أن

أضحك معه ضحكة متدفقة من القلب .. هل كف نبضك يا صاحبى إلى الأبد .. ؟ وبقى طيفك يحاول أن يقدم للناس رطبا جنيا من فوق نخلتى القديمة ؟ ! .

الجرح والوردة

على الشاطئ تمدد على الرمال يتأمل ما حدث . البحر أمامه لا حدود له . القواقع بين قدميه . النسيم اللطيف يلفح وجهه . أخيراً يستريح لحظات من عنفوان المعركة القاسية المريرة . كم لعبت به الأيام والسنون . مايزال الجرح غائراً فى ذراعه الأيسر ينزف دماً قانيا . سبع سنوات وهو ينزف . تلهف يبحث عن وردته بجواره . جذبها إلى أنفه ليغير من رائحة الدم المزمنة . ضاعت منه هذه الوردة مرات كثيرة . كان يعثر عليها بشق الأنفس . يقاوم بكل ما يملك ، ليبحث عنها تحت معطف طفله الصغير ، أو وراء ابتسامته النقية ، أو خلف قبلة حبيبته . فى بعض الأحيان يكتئب ، يحط عليه اليأس الشديد . فجأة تخلل رائحة الوردة أنفاسه ، فيصحو من جديد ، يدب على الأرض نشوان فرحاً بالحياة . الآن ما يزال الجرح يؤلمه ورائحة الوردة فى فمه ، لا يدرى متى وكيف بدأ ذلك الجرح الغريب . استيقظ من النوم ذات صباح ، فإذا ألم بسيط كوخز الإبر فى ذراعه ، غرس بصره مكان الألم ، فلم ير شيئا . وبعد أيام شعر بنفس الوخز . بحلق مرة أخرى ، فإذا به يرى ورماً صغيراً ينفث صديده . . خاف وارتعب ، ثم تفكر وتدبر . ربط الدمل بعد أن وضع المرهم . وعاد يحرث شوارع المدينة الكبيرة ، يضحك ويسخر ويتواصل مع الأصدقاء . كان يضع الوردة فى عروته فى النهار ،

وبجوار سريره ، أو تحت وسادته ، فى الليل . هذه الوردة تذبل فى بعض الأحيان ، ثم سرعان ما تتفتح من جديد . تجرى فيها مياه الحياة على مهل . لم يعرف سرها بعد . يكفى أن يرويها بالدلال والحنان والغزل . ويهمس فى أذنها بكلمات الحب صباحا ومساء . يلف بها القرى . والنجوع وعلى الشواطئ . يتغنى بها فى الليالى المقمرة ، وفوق السحاب ، وعلى سفوح الجبال . وكلما زاد هيامه بها ، كلما كبر جرحه وازداد ضراوة . وبويضة الحياة تناطح الموت دون أن يدرى . فك رباط جراحه ، فإذا الدمل يتمدد فى كل ذراعه ، يخرج منه الدم متدفقا وعنيفا . يضغط ليوقفه بصعوبة بالغة . ويوما وراء يوم تحدث ظاهرة جديدة ، يقل نزيف الدم فيزداد الصديد ، ثم يقل الصديد فيزداد نزيف الدم . وفى مرة قعد على حافة الترعة يصطاد السمك ، فإذا دماؤه تتسلل إلى المياه . ذعر من المشهد ، فجرى إلى البيت ليحكم رباط الجرح . فى تلك الليلة نام نوما قلقا متقطعا . حطت على صدره الكوابيس المظلمة مع الرؤى المبهجة . حلم أنه مات ، وأن الدم قد صفى من جسده إلى النهاية ، وأنه أصبح عظما لا يكسوه أى لحم ، وأنه أصبح ذرات كيمائية فى الأرض تساعد على نمو شجرة تفاح ، أو موز أو عود قصب ، أو ذرة ، وبعدها حلم أنه طلع إلى أحد الجبال ، حيث الخضرة الممتدة والطيور والجداول الصغيرة المنتشرة على سفح الجبل ، وكاد أن يخمش قبة السماء بأصابعه ، ليعرف مكنونات الكون ، ثم عاد وحلم أنه كتب قصيدة من الشعر ، فى نفاق أحد الأمراء ، فاحتقر نفسه ، ثم ضاقت أنفاسه ، فهب من نومه يمسح وجهه فى عز الليل وهو يهمس لنفسه.. خير. اللهم اجعله خيراً... فتح نور غرفته ، وتناول وردته ، وبين اليقظة وآثار النوم ثارت دهشته فى قلبه ... رأى ورقات الوردة قد كبرت وكبرت ... تحسسها بأصابعه ... وبحلق فيها بنظراته ...

فإذا اسم الله محفور عليها بخط رقعة جميل ...

تعجب من المصادفات .

قال للوردة :

– ما الذى حدث لأوراقك ... من أين جاءت هذه الكلمة ؟ ! .

قالت وقد اكتسى خدها بحمرة الخجل :

– أحوال ...

قال :

صحيح أريد أن أعرف ...

قالت :

– ياحبيبى المعرفة والعلم أساس كل شىء . وإرادة الله تسمو فوق كل إرادة ... إنى أذبل ، ثم تكسونى النضارة من جديد ، لأنى أعرف سر الحياة الدائم ...

هتف فرحا :

– وما هو ذلك السر أرجوك ؟ ! .

ضحكت الوردة ساخرة :

– أن تظل شريفا وأصيلا مادمت حيا ...

قال :

– وجرحى الذى لا يكف عن النزيف ؟ .

قطبت جبينها وهى تقول :

ـ قلبي معك ، لست وحدك ، هناك ملايين الجروح فى هذا العالم ... أليس كذلك ؟ .

ومدت يدها إلى أحد أوراقها وهى تهمس :

ـ انظر ، إننى أنزف أنا الأخرى بدل الدم عطراً . أتعرف أنى سوف أذوى فى يوم من الأيام ، ولكن بعد أن أكون قد قدمت رحيقى عن آخره .

وأشرقت الابتسامة على ثغرها الحلو وهى تقول :

ـ لا تبتئس ... قدم رحيقك وليكن ما يكون ...

وتململ الجرح فى ذراعه قائلا :

ـ إنى أعترض ... هذا كلام فارغ ... من يعانى غير من يرفع الشعار الأجوف ...

قال :

ـ يا جرحى العزيز لا تزعل ... صديقتى الوردة تريد أن تخفف عنك ... فهل تمانع ؟ ..

وتحشرجت الكلمات فى فه المتقيح :

ـ لا أمانع ... ولكن ...

ثم غمغم الجرح وبكى ... أغمى عليه ، ثم سال منه خط رفيع من الدم . وانكمشت الوردة منكسرة الجناح ، ترمقه بعين الأسى . همست له وهى عاتبة ... ماذا يريد هذا المجنون ؟ ! . لم يستطع أن ينطق بكلمة واحدة ، حسبه أن يلتقط أنفاسه بعض اللحظات . البحر أمامه يمتد عبر الأفق البعيد . يزداد سيّال النزيف من جرحه . النسيم اللطيف يلفح وجهه . يحاول ارتشاف رحيق العطر من وردته .

بشــــير الأمـــــل

فى الصباح لم أجده بجوارى . جعلت أنتظره دقيقة وراء دقيقة . لماذا تأخر بشير ؟ ! . إنه يملأ وحدة الكلى الصناعية حيوية ونشاطا . لا يكف عن الضحك والحركة النابضة . فتى عربى فى الثامنة عشرة من عمره . شقاوته العذبة تعطيه نضارة فوق نضارة . أين أنت يا بشير اليوم ؟ . بدأت أقلق من أجله . لم يتعود أن يتأخر من قبل .. كانت ماكينة الكلى جاهزة فى انتظاره ، فقط سوف تضع الممرضة الإبرتين فى ذراعه ، واحدة لسحب الدم ، والثانية لعودته نقيا معافى . فى البداية كنت أعطف عليه . حين تحدثت إليه ملأنى إعجابا . قلت له حين تعارفنا :

ـ هل أنت عربى ؟

ـ قال : نعم أنا عربى .

ـ من أى بلد ؟

قال : من ليبيا .

ـ ومنذ متى وأنت تعالج بالكلى الصناعية ؟

ـ منذ ثلاث سنوات ... وأنت ؟

قلت : منذ ست سنوات .

أخذ نفسا من سيجارته وهو يقول : .. ربنا يشفينا كلنا ... ربنا يشفينا .

قلت لبشير :

- وهل تعلمت شيئا عن الكلى الصناعية ؟

قال : أعرف الكثير الآن .

بدأ قلقى يشتد .. تحاول الوساوس أن تتسلل إلى قلبى . طالما قابلت العديد من المرضى ، كل واحد يضيف لى هما جديداً . ها هو غياب بشير يزيد هواجسى القديمة . ودعنا إبراهيم فى مستشفى المعادى وهو يقول : ... نتقابل فى طريق الحياة ، لكنه عاد إلينا محمولا على نقالة ، فاقد الوعى ، ثم مات بعد يوم واحد .. غاب المستر عبد القادر البنجلاديشى قبله من مركز كلى الصناعية بشمال لندن . بعدها بيومين عرفت أنه مات . آخر مرة رأيت فيها بيرا كانت قبل الأمس . كان يضحك مع الممرضات الإنجليزيات . يداعبهن و ينـ ت .. فى يده كاسيت يديره على أغنيات شعبية من الصحراء .. يا خليل الرو ... و يا حلو المحيا . الآن تقترب الممرضة منى وهى تبتسم :

- لم يستيقظ بشير من النوم بعد .

قلت : إنى قلق عليه .. أين يسكن .

قالت : فى الشمال ... ولكنه لم يعودنا أن يتأ

فقدت وحدة الكلى فى غياب بشير طا . تمدد المرضى على السرائر ساكنين هادئين . لا حركة ولا ضحكة ... لحظة متشائمة من تلك اللحظات التى سمعت فيها بموت رفيق ، هذه اللحظة أعرفها بفطرتى

وحسى الذى لا يكذب. ما يزال السرير بجوارى خاليا ... والماكينة تصدر وشوشات خافتة ... أنابيب المحاليل معلقة على عمدها . كل واحد منا رقد على سريره ينتظر كوب شاى الساعة العاشرة . كنت أريد أن يحدث شىء يحرك هذا السكون السخيف. فتحت الصحيفة لأقرأ وأتسى ، فلم أستطع . ألح علىّ طيف بشير . حاصرنى صوته ، إيماءاته ، حركاته ، نكاته ، روحه . ما الذى يوقعنى فى فخ الآخرين ؟ . فضولى نقمة لا مفر منها . كان يحدثنى عن صديقته الإنجليزية ، يشير باصبعه فى الهواء ، سعيدا وواثقا من نفسه تماما ، يعتريه الزهو والاعتزاز .. لقد غزوت بنات الإنجليز.. عادت الممرضة تحوم حول الماكينة وهى تقول :

- تكلمنا فى التليفون، فلم نجده ... أحسست بالقلق يتسرب إليها أيضا . زاد الهاجس فى نفسى وتجسد . ارتشفت جرعة من فنجان الشاى . كان بشير لا يترك شيئا إلا ويعلق عليه :

كم كوبا من الشاى تشرب فى اليوم ؟ ! . ماذا تعرف عن الأغذية التى يكثر فيها البوتاسيوم .. هل الويسكى ممنوح أم مباح ... ما رأيك فى البلح ؟ ! .. إنى أحب البلح .. أين تذهب فى أجازة نهاية الأسبوع . كان يريد أن يعرف كل شىء . لديه شبق غريب إلى المعرفة . سألنى ذات مرة :

- لماذا لم تزرع كلية إلى الآن ؟ .

قلت : ليس لدىّ متبرعون من العائلة .

قال بشير :

- وأنا الآخر ... ولكن ما هى شروط زرع الكلية . ؟

قلت :

- لها شروط كثيرة ومعقدة .. الأهم أن يكون الذى تزرع منه هو توأمك أو أحد إخوتك أو أمك أو أباك .

قال : ومن غير الأقارب ... هل يصلح للزرع ؟ .

أهمس :

- لا أدرى ... الأمل أقل . يشرق وجه بشير كالعادة . تضيء عيناه بأمل مبهم غامض ... يلتفت إلى الممرضة الإنجليزية التى تقعد بجواره على السرير ، يعلمها بعض الكلمات العربية البسيطة ... مرحبا ... واحد ... اثنين ... ثلاثة ... السبت ... الأحد ... الخميس .. شكراً .. يضحك فيتحول وجهه كله إلى لوحة حية لحب الحياة ... يهتف ... أحبك ثم يترجمها إلى الإنجليزية للممرضة .. تضحك هى الأخرى .. تلكزه فى كتفه .. ينتهز الفرصة بسرعة ليهتف مرة ثانية .. أعطنى قبلة .. تختلط دماؤنا ... بضحكاتنا بروح بشير اللطيفة المرحة ، فتتبدد ساعات الملل الكئيبة . ننسى الأخطار المتوحشة التى نعيش فيها . نطير على أجنحة من الأمل القادم . كيف يجيء ، ومتى ؟ لا نعرف . أين أنت يابشير أرجوك . دوختنا ياشيخ .. الآن « توش » ماكينتك بلا جدوى . يفرش الملل الوجوه والأعين وأعمدة العنبر الكبير . وعلى الأرض وحول كوب الشاى البارد الذى أحضروه لك حسب الروتين . تلتف الممرضات حول سريرك يردن أن يواصلن عادتهن فى الضحك والألفة والأنس .. وها هو الطبيب فى جولته التقليدية اليومية على المرضى ... يتوقف عند سرير بشير يبتسم وأطياف الرضى تظلل ملامحه ... يهمس :

- أوقفوا هذه الماكينة .. جاءت الفرصة لبشير فى الساعة السابعة صباحا ... أخبرنا الكمبيوتر بأن لديه كلية مشابهة لكليته ... نقلناه فورا إلى المستشفى ليزرع

كلية جديدة ... إنه الآن فى حجرة العمليات .. أدعوا له معى بالنجاح .
وفجأة بعد طول عذاب يتدفق الفرح إلى كيانى كله . تطير نثراته فى أرجاء العنبر على وجوه المرضى . وفى أعين الممرضات . وفى سقف المكان . وحول كوب الشاى البارد . ينتقل أمل بشير النادر الذى حدث فعلا إلى قلب كل واحد فينا ... فمن يدرى ؟ .

آدم العربي ...

فى تلك اللحظة لم أتوقع أن أراه . لمحته من الخلف يسبح الله . ساحة المسجد خالية ، يسودها الهدوء والصوفية العذبة . توقفت متردداً ... هل هو حقا ؟ . اقتربت خطوتين . بانت ملامح الصورة أكثر . الأذنان يكتنفهما الشعر الأفريقى الكثيف . لا أريد أن أقطع خلوته ... لكنى لم أتحمل المفاجأة . تقدمت إليه . لمسته من كتفه :

ـ السلام عليكم ...

رد السلام وهو يواصل ترنيماته السماوية . همست :

ـ ألا تعرفنى ؟ .

قال :

ـ آسف ... مش واخد بالى ..

اقتحمنى بنظرة فاحصة . لم أنتظر أن تسعفه الذاكرة . هتفت ... أنا ... وفى لحظة واحدة تعانقنا .

احتضننى بذراعيه الطويلتين البضتين . أحسست تحت جناحيه بدفء حار . لا أنسى أبداً . هتفت فى هذه المرة :

ـ هل تذكريا آدم ؟ .
قال وهو يمسح وجهه بأصابعه :
ـ نعم أذكر ... كانت أياما ... كيف الأحوال الآن ؟ .
قلت وأنا أغوص فى بحر الأحداث :
ـ إنها رحلة طويلة وعميقة ...
ـ هل حدث تطور جديد ؟ ! .
ـ تطورات كثيرة ... هأنذا ترانى أقف على قدمى ...
ـ الحمد لله ..
ـ هل تركت العمل ؟
ـ تركته ولم أتركه ...
ـ كيف ؟ .
ـ تعبونى فى السفارة ... لكنى مازلت أرسم .
ـ هل رسمت لوحات جديدة ؟ .
ـ طبعا ... طبعا ... إن لوحة الحياة لا ينضب معينها ...
ـ لا أقصد لوحات حقيقية ...
ـ نعم ... نعم ... لكن أصل اللوحات هو الأهم ...
أنا أحب أن أعيش الحياة أولا ...
ـ قطعت عليك خلوتك .
ـ لا ... لا ... أنا سعيد برؤيتك ... هل أكمل أورادى ... ثم أمسك مسبحته وغاب فى عالمه .

كانت الذكريات تلفنى فى بوتقتها الذهبية الصافية . من أين بدأت رحلة الغربة ؟ . فى الطائرة شعرت بأن لى القدرة على التحليق . أحسست بالزهو كما قال دوسانت أكسوبرى الكاتب الفرنسى ذات يوم : كان يطير فى السماء لينقل البريد من فرنسا إلى مراكش وبالعكس أيام أن كان الطيران فى بداياته الأولى . شعرت بالغربة حقيقة حينما هبطت على الأرض حيث التفاصيل التى لا نهاية لها . مطار هيثرو فى شهر فبراير ... هذه هى أرض لندن أخيرا ... الضباب والمطر والأمل فى الشفاء ... خير اللهم اجعله خيراً ... بطنى تمتلئ بالماء ... الأورام تنتشر فى جسدى .. درجة البولينا فوق الثلاثمائة درجة ... عظمى على لحمى ... عيناى تخترقان الرؤية إلى المستقبل رغم قسوة الحاضر ومرارته ... الانتماء موجود إلى آخر نفس فى الحياة . ها هو وجه الطبيب الإنجليزى يطالعنى . أتوسل إليه فى صمت :

ـ جئناك نلتمس الشفاء ..

يقول فى عجرفة :

ـ هذه وقاحة لا أقبلها ... كان ينبغى أن تأخذوا موعدا قبل أن ترونى ... يشملنى إحساس باليأس الغامر . هذا الوجه الأحمر أعرفه . لى تاريخ طويل معه . ليس الآن وقت تصفية الحسابات القديمة . أحتاج إلى إنسان يأخذ بيدى . ينقذنى .

قال الطبيب :

ـ من يدفع الحساب ؟! .

قلت :

ـ سفارة ...

قال بحدة :

ـ ولكنكم تتعاركون معهم ...

ألجم لسانى . لم أكن مستعداً للدخول فى معارك جانبية . سكت على مضض . رأسى يوش بصداع قاتل . ينهار منى الجسد . يزحف الألم على روحى المتعبة ، وجسدى . ليس لى حيلة فى رد العدوان . لماذا يعذبنى هذا الطبيب قاسى القلب ؟ . نظرت إليه . كانت عيناه تفحصنى عن قرب . يمتلئ بالغيظ . غبت عن الوعى فى لحظة معينة . داخت رأسى . فلم أقو على التفكير. نفدت حيلتى . هتف الطبيب فى وجهى ... أنت مجنون . ربما ، ما الذى فعلته حتى أستحق تأنيبه ؟ . أمرنى أن أتمدد على طاولة الكشف . سحب الستارة على المكان . غرزت نظراتى فى عينيه . ما يزال هائجا لا يتحكم فى أعصابه . دق قلبى بأصابعه . أخذ الضغط ودرجة الحرارة والنبض . غرز أصابعه فى لحمى . تحسس ذراعى الأيسر وبه عملية توصيل الشريان بالوريد ، حتى يتدفق الدم بالراحة ، أثناء عملية الكلى الصناعية . قال :

ـ متى بدأت الكلى الصناعية ؟ .

قلت :

ـ منذ عام واحد ...

قال :

ـ ما هى المشكلة ؟ .

قلت :

ـ جئت أتعلم لأعالج نفسى بنفسى فى البيت .

قال :

ـ هذا نظام لا ينفع عندكم ..

قلت :

ـ سوف أحاول ... هل تساعدنى ؟ .

قال مرة أخرى بحدة وانفعال :

ـ ليس لدينا مكان ... عد إلى بلادك ، إلى أن نرتب لك سريرا .

قمت وأنا أكظم غيظى . إنى فى موقف الضعيف . تلعثمت الكلمات فى فمى . لم أستطع أن أعبر عن نفسى . دخل طبيب عربى يساعده . شرحت له الموقف . رجوته أن يستعطف الطبيب الإنجليزى ، حتى يأخذ مسئولية علاجى وتعليمى . تبادل معه الحديث بإيجاز . تطلع إلى وهو يقول :

ـ لا فائدة ... إنه مصمم أن تعود إلى أن يرتب لك الأمر . انسحب من أمامى فى هدوء . كنت متفائلا بوجوده المفاجئ ، ثم سرعان ما شملنى الغم . هرب منى ابن جلدتى ودمى ، وتركنى فريسة للغريب . لعنت تخاذله وجبنه . أسلمنى لقمة سائغة إلى الطبيب الإنجليزى ، ألعق جراحى وحدى . كان صفراوى البسمة ، هزيل المنكبين ، له وجه ضامر كأنه يدبر ويرسم المؤمرات الدائمة . قمت أجرجر خيبة أمل شديدة ، أريد أن أنجو بنفسى .

* * *

كان آدم قد انتهى من تسبيحاته . احتضننى من جديد . حلق ببصره فى صحن المسجد وهو يتنهد فى شوق وحب ، ثم قال :

ـ هيه ... كيف الحال ؟ .

قلت :

ـ لا بأس ... وكيف أنت ؟ .

ـ إنى أعيش ...

ـ ماذا حدث لك ؟ .. أراك مستغرقا فى عالم آخر ...

رفع بصره إلى وهو يقول :

ـ وهل تريدنى أن أعيش مع البشر وحدهم على الأرض ؟ .

قلت :

ـ أريد أن تعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

قال وهو يبتسم ساخرا :

ـ قيصر لا يستحق شيئا ... أما الله فهو يستحق كل شىء ...

ـ هل تركت صحبة المرضى ؟!

ـ لم أترك شيئا ... الله هو الذى يعطى ويترك ...

قلت وأنا أخشى من وقع كلماتى عليه :

ـ يبدو أنك وصلت .

قال وخطوط جبهته تزداد اتساعا :

ـ دعنا من الوصول ... هل سمعت عن الحبوب الجديدة ؟ .

قلت :

ـ أية حبوب ؟ .

قال :

ـ الحبوب التى تساعد فى عمليات زرع الكلى والقلوب ...

قلت :

ـ قرأت عنها فى بعض الصحف .

قال :

ـ ألا تزيد فرص زرع كلية لك ؟

قلت :

ـ لعل وعسى !.

قال :

ـ عرفت طبعا بآخر عملية زرع قلب ....

قلت :

ـ وما رأيك ؟.

رفع بصره إلى السماء وهو يقول :

ـ كل شىء بمشيئة الله ...

ومسح لحيته وأردف :

ـ من يقترب إلى الله ، لا ينسى انتصار العلم أبداً . أليس كذلك ؟! .

كان آدم أول وجه عربى طالعنى فى مطار هيثرو . لم أكن أعرفه من قبل . لم يخطئنى ، وهو يبحث عنى فى وسط زحمة المطار . تعارفنا فى لحظات . أوصلنى إلى القسم الطبى ، ثم تركنى . وفى اليوم التالى رأيته . كان حنونا ودافئا ورقيق القلب . أحسست أنى أعرفه منذ سنوات . أضفت عليه بشرته السمراء سحرا وغموضا محببا إلى نفسى . ليس زاعقا ولا مبتذلا . ومع ذلك ، فى لحظة أوشكت أن أظن به السوء . فقد قالوا لى فى القاهرة ... احترس من النصابين فى لندن ... هى سوق عالمية للنصب والاحتيال . لكنى ندمت على هذا الإحساس ، وهو يصحبنى إلى جراح الكلى فى شارع هارلى . هناك أشياء صغيرة تكشف الكذب من الصدق .

وهناك لمحات تنم عن الإنسان الجدع الأصيل ، من الإنسان المزيف . ومع ذلك فنحن لا نكشف الرجال ، إلا من خلال تجاربنا معهم ، أو من خلال مواقفهم ، أو حتى بكلمات عاجلة على ألسنتهم . قلت فى سرى وقت، أن تحقق اكتشافى لآدم : .. حقا ... من يعش يرى . خرج لى آدم العربى من باطن أرض لندن ، ليقودنى وسط الظلمة والألم والقلق المحير الكئيب . كانت خطواته فى طريقى علامة مميزة فى رحلتى الطويلة ، بل رمزاً للمشاركة فى أشد الظروف تعاسة وقهراً . ازداد حبى للإنسان على وجه الأرض . كنت أتامل وجهه الافريقى ذا الملامح البارزة ، شعره الكثيف ، عيناه الضيقتان الطيبتان . مسحة الثقة التى يمدنى بها ، كلماته المتقطعة الهادئة التى تبحث عن حل معى . ازداد إيمانى بأنى عربى مسلم ، بل ازداد حبى للعالم كله ، للبشر جميعا . إنه آدم العربى الذى علمنى أن أحب الناس والدنيا جميعا .

* * *

افترشنا صحن المسجد الكبير معا . كنا فى اتجاه قبلة الكعبة . طوى آدم مصحفه ، ثم اعتدل فى قعدته . قال :

- إلى أين سرحت أفكارك ؟.

قلت :

- أيام لا تنسى ...

قال :

- لا تهتم ... الله معك ...

ولمسنى من كتفى . نفذت نظراته فى عينى . كان صافيا يمتلك نفسه .

أردف :

ـ فيما كنا نتحدث ؟.

قلت :

ـ فى زرع القلوب ...

قال :

ـ آه ... إنى سعيد باكتشاف الحبوب التى تقلل من رفض الجسد للعضو المزروع ...

وصمت لحظة ثم أضاف :

ـ الله يرضى عليك ويرزقك بكلية مناسبة ...

همست خاشعا وأنا أقول :

ـ قال لى الطبيب : إن الفرصة نادرة جدا ...

قال آدم :

ـ العبد فى تفكير والرب فى تدبير ...

دعوت معه وأنا ألهج :

ـ يسمع الله منك يا شيخ ...

وأردفت :

أين تسكن يا آدم ؟

قال :

ـ فى شمال لندن ... مكانى القديم لم أغيره ... أجىء هنا لأصلى الفجر حاضرا ...

ـ والعمل ؟

قال :

- مازلت ألتقط خبزى بعرق جبينى .

قلت :

- ألم توحشك البلد ؟! .

قال :

- بلاد الله واسعة ... وكل بلد تستطيع أن تعبده فيها ... هى عامرة .

وأشار بيده إلى قلبه ... من هنا أنطلق ... ثم أشار إلى عقله ... ومن هنا أفكر ، وأتناسق مع هذا العالم . أبنى وأشيد ، هل رأيت لوحتى الجديدة ؟ ... تعال وسوف تعرف ماذا أقصد . إننا لا نسبح فى الفراغ ... لسنا دراويش كما يظن البعض .

وأردف آدم :

- كيف أحوال الأولاد ؟ ... كبرت تانا طبعا ...

قلت :

- عمرها الآن عشرون عاما ...

قال :

- أصبحت عروسة ... خير ... خير .

واكتسى وجهه بضياء شفاف ، اختلط بسمرته اللافحة ، خفق قلبى فى صدرى براحة الضمير . من أين يستمد آدم هذا النور الداخلى الذى يشع على من حوله ؟ لم يتغير فيه شىء كيف افتقدته كل هذه السنوات ؟ فى بعض الأحيان تفقدنا الطرق المعقدة أقرب الناس إلينا ، ومع هذا تضع الحياة فى طريقنا الكذابين وأصحاب القلوب الغليظة .

ونودى إلى الصلاة . وقفت إلى جوار آدم أكبّر جماعة . هل هو إشعاع جديد يحفزنى إليه آدم العربى ؟ .

الكئيب والزهرة

في الحديقة الصغيرة كنت وحدى . أزهار الربيع تتفتح حولى . اللون الأخضر يملأ عينى . لكن الوساوس تجتاح قلبى . أحاول أن أطرد الأحزان من صدرى . فى مكمنى أفرش ظلى . فجأة هلّ على طيفه . بادرنى بالتحية . غاب وعيي لحظة . تماسكت أمامه . استجمعت شجاعتى المفقودة . لم أعد أخاف منه . طالما صاحبنى سنوات . ابتسمت رغم المرارة التى أحملها تجاهه . أكرهه .. أكرهه . رجوته مستعطفا ، أن نشرب الشاى معا ، مد اصبعه يسألنى :

- هل أنت سعيد ؟! .

قلت وابتسامتى تزداد اتساعا :

- يعنى .

قال :

- انظر ... هذه شجرة التفاح تبشر .. حصول جيد هذا العام . أليس كذلك ؟.

تعجبت من كلماته ، لكنى أردفت :

- الحمد لله ... الحمد لله ... قطف زهرة وفركها بين أصابعه .

غضبت . لم تهن علىّ الزهرة . تعبت فى ريها . كنت أتأملها يوما بعد يوم .

أراقب نضجها دائما . خطف فرحي مني . هز شجرة التفاح . فتساقطت الزهرات الجديدات . دعوت الله أن يكف نشاطه المدمر . قمت لأعمل له الشاى .

هو يعرف طريقتى فى إرضائه . فر متضايقا . لا يحبنى ودوداً وطيباً وكريماً . يريد أن ينفث سمومه فى بدنى مباشرة . طالما أجلت ضربته القاضية أكثر من مرة . طاشت سهامه تجاهى ، لكنه يسكن فى داخلى ، لحظة وراء لحظة . حملت أكواب الشاى بين يدّى . رفض أن يتناول منى نصيبه . رشفت رشفة . كان الطعم فى فمى علقما . همست فى سرى ... دعنى أشرب قطرات الشاى بسلام . لم أستطع أن أتبين ملامحه . كان كتلة هائمة مجسدة تخيفنى ، فى وجودها ، أو عدم وجودها ، فى الليل أو النهار ، ساعات الفرح أو الحزن ، عندما أودع ابنى فى الصباح إلى المدرسة ، أو عندما أستقبله فى الساعة الرابعة مساء ، وهو عائد منها ، يشتاق إلى رؤيتى ، عندما أمسك كتابا لأقرؤه . لف حياتى كلها بعباءة سوداء قاتمة . أسدل علىّ ستاراً من الخوف والرعب المقيت . أفتح نافذتى لأشم بعض النسمات ، فأراه يندفع فى أنفى وصدرى مهتاجا .

فى هذه اللحظة يريد أن يتكلم معى . سمعت صوته لأول مرة ، فإذا به خليط من العدم واللاجدوى . صوت ليس كمثله صوت ، لا أستطيع وصفه أبداً . تعودت على أصوات البشر . كل واحد منهم له لون وطعم ورائحة . أعرف ما تريد هذه الأصوات منى . لى الحرية أن أستجيب لها أو أرفض ، إلا صوته الفاتر الغامض المسموم . يملأ أذنى فناء ولا شيئا . تطلعت إلى ورقات الزهرة الذبيحة . تمنيت الا يمتد تخريبه إلى حديقتى الصغيرة بعد ذلك . أراد أن يجس نبضى فقال :

ـ هل تعجبك هذه الحياة ؟ .

قلت :

ـ أموت فيها .

قهقه فى الفراغ . لا أدرى ما الذى أضحكه . سخر قائلا :

ـ ولماذا تموت فيها وأنا موجود معك . أنا تحت أمرك .

غامت الدنيا فى عينى . كان البكاء لا يفيد معه . جربته طويلا معه . شعرت بأنى قشة فى مهب الريح . أردت أن أرفع ذراعى فى وجهه محتجا . لكنى لم أستطع. برد فنجان الشاى أمامى . كانت السحب محملة بالغيوم . تمنيت أن تمطر كثيفا ، حتى أكفر عن ذنوبى . أردت أن أنسحب ، دون اعتراض فأوقفنى بلكمة خفيفة قائلا :

ـ إلى أين ؟! .

قلت :

ـ أريد أن أتنفس هواء نقيا .

قال :

ـ ألا تعجبك هذه الحديقة ؟.

قلت :

ـ تعجبنى جداً ... ولكن .

نزلت بعض قطرات من السماء فبللت روحى المتعبة . همست ... إنى لا أنساك ، فلماذا تصر أن تكون معى فى هذه اللحظة ... دعنى أشم زهور الربيع المتفتحة ... ألا يكفيك ثلاثة أيام فى الأسبوع تصاحبنى وأنا راض ؟ ... روضتنى

فى السنوات الأخيرة أثناء هذه الصحبة الخطرة ... لست مستعداً لاستقبالك الآن ... أبذل فى سبيل البعد عنك دمى ودموعى ... أشحذ ذهنى ، حتى أتفادى حلولك المفاجئ ... اغرب عن وجهى فى هذه اللحظة أرجوك ... دعنى لزهورى ... سوف أقاوم إلى آخر قطرة من دمى ... لست وحدى . كل البشر يحاولون أن يهربوا منك دائما . أبرق بعينيه الناريتين تجاهى . عاود ضحكته الكئيبة . أحسست أن الأرض تميد بى . تكاثفت قطرات المطر . ومن الأفق الشرقى أبرقت السماء . أرعدت دون جدوى ، لاحظ خوفى فقال :

ـ لا تبتئس ... جئت للاطمئنان عليك .

تعجبت من منطقه الغريب . زيارته تفزعنى . مرة واحدة تكفى . ضربة قاضية منه تحيلنى إلى رماد ، يأكلنى الدود بعدها . أحال جلسة الضحى الحلوة إلى نكد أزلى . تمنيت أن أطلق ساقى للريح . أرتدى ملابسى . أحمل أوراق وكتبى ، إلى مكان آخر ، لا ينازعنى فيه ، لكنى عدت وتراجعت ، فهو يستقر بينى وبين طيات أى كتاب أفتحه ، يسيل على صفحة أفراحى ، يطفو خلال كلمات الأصدقاء وودهم ... يكمن فى السر والعلن ... يبين بين حنايا الصدر وفى أصابعى ... يفصح عن نفسه تحت جلدى وفى عظامى ... أين أهرب منه ، هذا الصديق اللدود ؟! . لا أعرف ... لا أعرف .

مملكة الكتاكيت الفلسفية

فجأة توقف الدكتور عبد المقصود وسط مزرعة الدواجن ، عشر سنوات وهو يعيش على وتيرة واحدة . سأم هذه الحياة المملة الرتيبة . لعب بالنقود فى جيب سرواله : همس لنفسه فى أسى : لم تعد فى حاجة إلى النقود يا دكتور عبد المقصود . رصيدك مال وفير يكفيك طول العمر وزيادة . هذا هو مشروعك الناجح يحقق أرباحا هائلة ، ومع ذلك فإنك تعيس ، تشعر بفراغ قاس ومدمر . ما الذى حدث ؟ . هل هى نقمة تحل بك بعد زمن طويل من السعادة ؟ . ألا يبهجك صوت آلات تفريخ الدجاج ، وهى تعمل ليل نهار فى دوريات مستمرة ، لا تتوقف . هذا هو الريف الذى كنت تحلم بالإقامة فيه مدى العمر . زملاؤك ما يزالون فى الجامعة يعانون قرف التدريس ومتاعبه .

فى البداية كنت تسمو فوق الوظيفة . يرتفع طموحك إلى الذرى العالية . تكون أو لا تكون ، تلك هى القضية . إما أن تصبح فيلسوفا كبيراً تغير من واقع الشرق وهمومه ، وإما أن تترك الفلسفة لأصحابها . هل تذكر محاوراتك فى الجامعة ، عندما تجلس وأمامك الميكروفون ، ثم وأنت تلقى المحاضرات على الطلبة ؟ . كانت مملكتك شاسعة . آذان الطلبة ووجوههم تتجه إليك فى لهفة ،

وأنت فرح نشوان . أين أيام أرسطو وأفلاطون . كنت حرا وسعيداً . تمتلئ أيامك بأصوات البنات والشبان المتلهفة إلى المعرفة . هل نسيت كتابك الذى أحدث ضجة فى أوساط المفكرين . محنة الشرق ... مقدمات وأسباب ... كان العقل العربي راكداً خاملاً ، فإذا بكلماتك توقظ النائمين . كيف تحول تفكيرك إلى ترك الجامعة ، ثم تفرغت إلى البحث المطلق فى المذاهب الفلسفية ... الوجودية والماركسية . الميتافيزيقا والمادية ... البرجماتية ... اليسار واليمين فى الإسلام ... مشكلة الجبر والاختيار عند المعتزلة . ثم كيف تركت كل ذلك ؟ . الآن تقف حائرا وسط الدجاج المتلهف إلى الطعام . لم يصل الملف بعد . أولاد الكلاب تجار السوق السوداء يرفعون الأسعار . ما هذا الشرخ الهائل الذى يحدث فى مملكتك الثابتة ؟ . إنك تقف فى نقطة اللاعودة عارياً إلا من أحزانك وقلقك وعذابك . الماضى بالنسبة إليك مجرد تاريخ وذكرى ، أما الحاضر ، فقد حققت فيه قمة النجاح . فماذا تريد من الدنيا ؟ . إذن من العبث أن تتمادى فى أحلامك الماضية . وأفاق على أصوات الدجاج المتزاحمة . طالما أحب هذه الأصوات . كل صوت ببيضة ، وكل بيضة بكتكوت ، وكل كتكوت بقروش فى جيبه . مرّ على بيوت الدجاج ، ورأى أكوام البيض مدفونة فى القش . العمال مشغولون بجمعه ووضعه فى الحضّانات الكهربائية . فى كل صباح له جولة اطمئنان على كل شىء . أصبحت لديه خبرة ممتدة بأمراض الدجاج وتربيتها . يعرف الضعيف منها والقوى . يدرك العلف المخلوط بنشارة الخشب من غيره . الطبيب البيطرى وراءه ، وشمس يناير تدخل الدفء إلى جسده ، لكن عقله يغلى من الداخل . كيف تحطمت أحلامك يا عبد المقصود ؟ . ضاعت روحك من الزحام . كنت تسير فى الشارع مفلسا ، لكن عقلك غنى بالأفكار الخصبة . ما أحلى أيام الأمل المشرق .

ح بمهارة غريبة فى نهر الإنسان وتاريخه . تتقمص شخصيات الفلاسفة
ىركاتهم وسكناتهم . تبحث فى جذور نشأتهم وتطورهم وتأثيرهم . كان
تضع بصمة على تاريخ الفلسفة فى الشرق ، فإذا بك تنتج آلاف
اليوم . وليتك تخصصت فى تاريخ الطيور وأمراضها وانتاجها . ومع
حلطت الفلسفة بالطيور فى لعبة فاسدة . وقال للطبيب البيطرى :

ىل فى تأخر العلف ؟ .

بيب :

من أن نشترى بالسعر الجديد .

كتور عبد المقصود :

ن الدجاجتين اللتين عزلناهما بالأمس ؟! .

بيب :

ستمر فى عزلها حتى نتبين الحالة جيدا .

المقصود :

الكتاكيت الجديدة ؟ .

يب :

ى زيادة الدفء فى الشتاء .

كتور :

ملت الماكينة الجديدة ؟.

يب :

سلمها بعد أسبوع واحد .

المقصود :

ـ وكمية البيض بالأمس ؟

قال الطبيب :

ـ خمسة آلاف بيضة .

وترك الدكتور عبد المقصود المزرعة عائداً إلى البيت . استرخى على مقعده المريح . أفرغ كأسا من الويسكى .. ووضع عليه الثلج .

هذه هى حجرته القديمة التى يحبها . لم يغيرها منذ أن كان مدرساً بالجامعة . مازالت بها روائح أفلاطون وأرسطو وكارل ماركس وابن رشد والفارابى . قام وأمسك بمؤلفه القديم . قرأ الإهداء .. إلى كل الذين يحبون الشرق ويريدون تغيير حاله .. الفصل الأول .. إلى من يهمهم الأمر .. والثانى تنويعات على لحن واحد ... الخروج من الأزمة .. الخاتمة والخلاص .. لم يقرأ كتاباً فى الفلسفة منذ عشر سنين . ماذا جرى لك يا عبد المقصود . هل ما يزال العقل العربى كما تركته ؟ من هو أهم فيلسوف عربى الآن . لم يستطع أن يجيب بشىء . لا يهم . كلنا فى الجهل شرق . من بعدك يمسك الدفة ؟ . وعند أول رشفة من كأس الويسكى ، همس والإحباط يشمله : دعونى فى حالى يا ناس ... ضعت والحمد لله منذ عشر سنين . هذه البيئة لا تصلح لفيلسوف مثلى . أنا اليوم دجاجة وآلة تفريخ ، وقطعة من العلف ، أدوخ فى البحث عنها بالسوق السوداء ... وكل ما عدا ذلك فهو قبض الريح . وحدى أم الآخرون . طظ فى الفلسفة إلى الأبد .. ولتحيا الكتاكيت الذهبية .. هذه فلسفتى وكفى .. وجاءته ضجة أصوات آلات التفريخ المختلطة بصوصوة الكتاكيت ... وكان يفرغ بقية الكأس فى جوفه ... وقال وهو يبتسم ساخراً : .. لا بأس أن نكرر ... أن نكرر ... عاشت مملكة الكتاكيت الفلسفية ... ولو إلى حين .

شبح المستر عبد القادر ...

فى لحظة خاطفة تملك الرعب قلبى ، تصورت أن المستر عبد القادر قبض على عنقى من الخلف ليمحونى من الوجود . المستر عبد القادر ليس عدوى ، ربما يريد أن يأخذنى معه مودة وحبا ، ولكن أى نوع من المودة والحب اللذين يكنهما لى المستر عبد القادر ؟ إنهما مودة وحب الموت . هرولت إلى خارج المستشفى مذعورا أمسك عنقى . وحدى فى هذه البقعة النائية تعلقت عيناى بالعربات المندفعة السريعة ، التى تجتاز الطريق . شمال لندن فى عز الليل . البرد والخوف والألم . تجرأت وأحضرت مقعدا من الداخل لأجلس على « وش » الدنيا وحدى أواجه المشكلة . منذ أسبوع واحد فقط ، كنا نواجه المشكلات معاً .. أداعبه ويداعبنى ، كل منا على طريقته الخاصة .

أنا مصرى ، لا أكف عن التنكيت حتى فى أدق اللحظات الخطرة ، وهو بنجلاديشى ، يحاول أن يتذوق ، يجاملنى بأنه فهم النكتة . سيطرت على الرعب فى داخلى . لابد للإنسان أن يسيطر على عدوه ، أيما كان هذا العدو . تعجبت من المفارقة الغريبة ... هل يعقل أن يخنقنى المستر عبد القادر ؟ ! . اننى لا أفترى على أحد .. هذا حدث حقيقة .. شعرت أن يديه تنفذان الى لحم

عنقى .. ثم إلى عظامه ثم إلى خلايا جسدى .. فى دمى وعظامى كلها . أعرف الفرق بين الوهم والحقيقة . وقد كان الموت حقيقة يتدحرج بيننا نحن الإثنين . كل واحد يقذفه نحو الآخر .. لكن المستر عبد القادر كان أكثر احساسا منى به .

فى مرة تعطلت ماكينة الكلى الصناعية الخاصة به فجأة .. كنا بمفردنا داخل مركز الكلى ... وكان من الضرورى أن يعيد دمه إلى جسده فى فترة وجيزة لاتتعدى العشر دقائق .. وإلا تجلط الدم . المهم كنت أعرف ماينبغى أن يفعله .

ولكنى خفت أن أتحمل المسئولية . انتفض من سريره قاعداً على الأرض ، صارخاً بالنجليزية زاعقة مريرة ... أنا ذاهب لأموت . أشرت إليه أن يكون رابط الجأش ، مفكراً فى حل المشكلة . فلا فائدة فى اضطراب الأعصاب .

وعلى الحشائش الخضراء فى حديقة المستشفى . كنا نسترخى فى اليوم التالى . نستعيد ذكرى الليلة السابقة ونضحك . وندردش فى أمور الحياة والموت والميلاد . قعد المستر عبد القادر قبالتى . وبين يديه ترجمة للقرآن باللغة الأوردية .. وجه أسمر بلون طمى النيل .. وقامة قصيرة ممتلئة . وعينان مجهدتان ذابلتان .. وبعض الدمامل الصغيرة الخفيفة التى تنتشر على صفحة وجهه الطيب .. يبدو أن العالم ما يزال به كمية لا بأس بها من الطيبين والطيبات . شد (قطعة) من الحشائش وهو يقول :

ـ كيف الأحوال ؟ .

قلت :

ـ لا بأس .. وأسرتك ؟ .

ابتسم بطيبة .

ـ ليما ابنتى لا تنام إلا فى حضنى كل ليلة ، أعود من المستشفى .. تنتظرنى حتى الثانية عشرة أو الواحدة صباحاً .

ـ ما عمرها ؟.

قال بعد فترة تفكير قصيرة :

ـ سنتان .. وشهر .. وخمسة أيام ...

قلت :

ـ وكم ساعة ؟.

قال :

ـ وثلاث ساعات .

ـ هل تحبها يا مستر عبد القادر .؟

ـ أموت فى حبها .

ـ وحيدتك ؟

ـ لا .. لدىّ ولدٌ آخر .. بوبو .. عمره خمس سنوات .

تأملته وهو جالس قبالتى ، أعطيته سيجارة . أخبرنى بأنه أقلع عن التدخين ، ولكن ربما عاد إليه من جديد .. حدث ذلك له عدة مرات .

* * *

كانت رحلة آخر الليل مع المستر عبد القادر فى غاية الكآبة .. نحن الاثنا مجهدان جدا ... الجسد كله مطارق تدق بعصبية وألم .. والنفس غير تواقة إ إلى نوع من الراحة الأبدية ... انهار المستر عبد القادر على الرصيف ، ونحن فـ

انتظار آخر أوتوبيس .. ضغط دمه منخفض . كان أمله أن يصل إلى البيت ليرتمى فى أحضان ليما .

* * *

رأيت المستر عبد القادر يوم الاثنين . حيانى بضعف بدا فى وجهه وفى أعماق عينيه . لم أره فى اليوم التالى . ذهبت إلى المستشفى يوم الأربعاء . لم يأت فى ميعاده . الساعة الثانية مساء . ماكينة الكلى الصناعية الخاصة به جاهزة . زبون قديم يحرصون عليه . ينسى دائما اختبار المياه . أقوم بالعمل نيابة عنه . غضب منى عندما قلت له فى مرة : أنت أنانى . قال : ... إذا أردت أن تكلمنى بمثل هذه الطريقة لا تكلمنى .. صمت لحظة .. فإذا به يسألنى .... هل ذهبت المرضات؟.. أجبته بالايجاب .. عرفت أن قلبه طيب لا يحمل حقدا ... المفروض أن يأتى الآن .. يغرس الإبر فى ذراعه .. كل منا يعرف عمله جيدا .. يتذمر فى أعماقه ويسخط ويقنط .. تنسحب روحه من صدره فى بعض الأحيان .. ولكن الروتين هو الروتين .. فإما الموت وإما الحياة .. أخترنا الحياة بكل الصعوبات .

يتمدد المستر عبد القادر مسترخيا على سريره ، بجواره على سرير آخر أرقد مسترخيا أيضا . الخطر يوحد بيننا ، الهواجس والظنون والخوف من المجهول فى أعماقنا . نبتسم أبتسامة المهزومين الضعفاء المستسلمين . أركب (فرستى) المصرية الأصيلة لأحلق فى عالم الأمل . تتسرب حرارة الحياة منى إلى المستر عبد القادر . يأنس إلىّ . فى بعض الأحيان كان يسترخى على سريره قبلى ، فأداعب قدميه بأصابعى لأغير مناخ الكآبة الذى نعيش فيه . يبتسم أو يضحك ضحكة خفيفة

على قد الحال . هنا عنبر الكلى الصناعية . ياكم تبادلنا ماكيناته وسرايره كلها على مر الأيام .

حفظنا تفاصيله . إنه بيتنا الأصلى الذى نستمد منه مواصلة الحياة . لو غبنا عنه أربعة أو خمسة أيام لجدفنا فى عالم الموت ... نحن والموت وحب العيال . نشتاق إلى كوب من الشاى الدافئ ولكنها المدرسة الانجليزية فى العلاج طويل الأمد .. لابد أن يتحمل المريض مصيره بنفسه .. يتعلم كل شيء .. صغيراً كان أم كبيراً .. يفكر فى كل فعل يقدم عليه . طلبت مرة كوبا من الشاى .. فقال لى الطبيب: تستطيع أن تفعله بنفسك.. قم واترك دمك فى دائرة بحيث يحتفظ بحرارته.. بعد أن تخفض سرعة مضخة الدم.. ثم عد . وابتسمت له وأنا لا آخذ كلامه مأخذ الجد . قال بجدية : إنى لا أنكت .. قم واعمل الشاى بنفسك ، حتى تشعر أنك تعيش .. فلسفة العلاج أن تكون طبيعيا إلى حد كبير.. كلنا سوف يموت . تمتع بأيامك بقدر ما تستطيع .. باشر عملك العادى ... عش وسط البشر ، كلما استطعت إلى ذلك سبيلا . لا ترقد على نفسك .. كما ترقد الدجاجة على أفراخها ...

* * *

الساعة الثانية والنصف ولم يأت المستر عبد القادر . حدثنى منذ أيام أنه طلب أمه على التليفون فى بنجلادش وتحدث معها أربعين دقيقة كاملة .. ماذا قال لها .. وماذا قالت له ؟ ... لكنى دهشت لهذه المحادثة الطويلة الغريبة . لم يعد يحدثنى عن زرع كلية له ، كان دائما يمنى النفس بزرع كلية من ابن عمته أو

ابن عمه وكنت أسخر عابثا .. أقول له : إنى متبرع لك بكليتى الاثنتين يامستر عبد القادر .. فلا يضحك ... فالنكتة مريرة وربما سخيفة .. ولكن السخرية كانت ضرورية . ومن لم يسخر من نفسه .. لا يستطيع أن يسخر من أوضاع الآخرين .. يريم الصمت بيننا فى الساعات الأخيرة من العملية . ينام المستر عبد القادر بعمق . تضرب صفارات الإنذار فى الماكينة علامة على أن شيئا أصابه خلل مفاجئ .. أنادى عليه بصوت عال .. يستيقظ مذعوراً .. متعبٌ طول اليوم ، من المكتب إلى المستشفى .. يحمل حقيبته السوداء الضخمة . يخرج منها المصحف المترجم . يقرأ فيه بهدوء . يجيء وقت ، يتقوقع كل منا فى داخله . لا صوت إلا (وش) الماكينة المستمر ، الذى تعودت عليه الأذن ... وصفعات قطرات المطر على زجاج النوافذ . نستسلم للحزن والوحدة والمجهول .

وفى الحادية عشرة تماما نفك قيودنا . نتحرر من سجننا الذى استمر سبع ساعات .. الأمل فى جديد يداعب قلوبنا . يجرى أحدنا إلى المطبخ .. يحضر البسكويت فى طبق صغير . نكون جوعى ومرهقين جدا .. طعم البسكويت لذيذ .. نمضغه بشهية مفتوحة . فى بعض الأحيان تعرف الممرضات أننا أكلنا البسكويت . يسألن فى ظرف . من أكل البسكويت ؟. أقول على الفور : المستر عبد القادر .. لكنه يرد التهمة إلىّ .. لا .. لا .. المستر .. هو الذى أكل البسكويت . نقفل جميع الأنوار والمياه . نخرج من المستشفى .. تهب علينا نسمات الحياة الباردة . يتخلف المستر عبد القادر عنى خطوات ... أستحث مسيرته . الحشائش يكسوها المطر . أسأل نفسى بغيظ : من الذى انتزعنى من عشى بحلوان ، إلى شمال لندن المتوحش . مصر وحشتنى جدا ... جدا . أحن إلى خلجات أصدقائى ، أحب قلقهم وعذابهم وفرحهم .

أعود إلى الواقع البائس . أخاف سكارى آخر الليل . أتأبط ذراع المستر عبد القادر ، لآخذه تحت مظلتى . المطر يزداد غزارة .. من يطير بى إلى أحضان قريتى ؟ . راكية النار مشتعلة ، وفى وسطها (براد) الشاى أو القهوة .

أحن إليك يا أنشاص يا حبيبتى الجميلة . فى الأوتوبيس أفترق عن المستر عبد القادر ، لا وقت لصداقات جديدة .

* * *

الساعة الثالثة ولم يأت المستر عبد القادر . خير اللهم اجعله خيراً . غاب مرة سابقة ، ولكنه أتى فى اليوم التالى صباحا . المشكلة أنى لا أستطيع أن أتصل به ، ليس لديه تليفون بالبيت ، ولا أعرف عنوانه ، غرست الإبر فى ذراعى . أوصلتها بالأنابيب . بدأ الدم يتدفق إلى الكلية الصناعية ، ثم يعود إلى ذراعى نقيا .. وقطرة .. قطرة .. أشعر بالفوقان ، السموم تصفى من دمى .. وكابوس ثقيل .. ينزاح من صدرى وكل أعضاء جسدى . المستر عبد القادر لا يغيب عن خاطرى .. عرفت أن اسمه عبد القادر مصادفة .. قبل أن يغيب عنى فى هذه الفترة الأخيرة .. مسلم .. اسم الشهرة (بويا) .. مستر بويا .

هكذا كنا نناديه دائما .. أما الاسم الحقيقى فهو عبد القادر ... ضحكت معه وأنا أقول له .. إنه اسم مصرى .. عربى .. ينطقه الصعايدة والشراقوة عندنا عبد الجادر .. وأهل المدن .. عبد الآدر .. لا أدرى لماذا فرحت باسم (بويا) الجديد .. ربما لأنه أصبح قريبا منى بالاسم أيضا .. بجوار العقيدة والطيبة والذكريات والمحنة المشتركة .

.. تذكرت كل أصدقائى باسم عبد القادر .. كررت تلك الأسماء فى أذنه .. كان يهمنى أن يعرفهم .. إنه عبد القادر جديد فى حياتى .. عبد القادر البنجلاديشى الطيب النفس .. بجوار عبد القادر الجزائرى .. وعبد القادر السودانى .. وعبد القادر الليبى .. وعبد القادر اليمنى .. وعبد القادر المغربى .. والأهم من كل هؤلاء عبد القادر المصرى . وعفوا على هذا التعصب .

* * *

الساعة الرابعة ولم يأت المستر عبد القادر . كدت أفقد الأمل فى مجيئه اليوم .. سألت الممرضات ، لماذا لم يأت المستر بويا اليوم ؟ . قلن : لا نعرف ، ثم سألن : هل رأيته يوم الإثنين؟! قلت : نعم رأيته .. قلن : هل حدثت له مشكلات أثناء عملية الغسيل الكلوى ؟. قلت : المشكلات الدائمة .. صداع حاد فى الرأس .. وانخفاض شديد فى ضغط الدم .. ثم مشكلته الدائمة بعد خروجه من المستشفى ... أن يلحق آخر أوتوبيس . لم يعلقن بشىء . المفاجآت أصبحت طبيعية . وهن يتعاملن مع بشر ، نصفهم ميت ونصفهم حى . لا داعى للقلق . المشكلة مشكلتى أنا الآن . هل تدحرج الموت إليه ، وكيف ؟ .

لم يتطرق إلى عقلى هذا المعنى بسهولة ، ولكنى وجدت السؤال أمامى بطريقة عامة ، ومجرد شك بسيط أخاف أن يلمس المستر عبد القادر . فمن يبقى معى فى المستشفى ليلاً ، هل يتركنى بمفردى ؟ من يسمعنى سورة الإخلاص بلغة عربية يجاهد أن تكون سليمة ؟! .

بسم الله الرحمن الرحيم

أحد .. الله الصمد .. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» .

ى على الحشائش الخضراء ندخن ، ونتحدث عن مشكلات مصر والمسلمين .

وهو يحدثنى فى مرة عن وسيلة لعلاجه الدائم :

عدل أن يزداد أغنياء المسلمين غنى .. وأن يزداد فقراء المسلمين

عدلا ...

العدل أن تصل ثروة أحد المسلمين العرب ألفى مليون جنيه ، ولا

مثلك علاجاً مستمرا له ؟.

ستر عبد القادر لحظة ، ثم قال :

صحيح .

* * *

اية عشرة . قضيت الليلة وحدى .

* * *

عاء لم يأت المستر عبد القادر .. أيقنت أن فى الأمر شيئا .. ولكن

أعد مندهشا ، حلت الحقيقة محل الظنون والهواجس . شريط

الموتى أمام بصرى لا يتوقف .. أجندتى بها أرقام تليفونات كتبت أمام بعضها بسهولة وتآلف غريب ، انتقل او انتقلت إلى رحمة الله ... وكل ميت من هؤلاء له فى قلبى قصة أو رواية .. لكن رواية المستر عبد القادر معى رواية عجيبة . يحاول الطبيب الانجليزى أن ينهيها بهدوئه القاتل .. على نفس الحشائش التى جلسنا عليها أنا والمستر عبد القادر .. رأيته قادما إلى فى صمت .. قعد قبالتى .. سحب سيجارة من علبة سجائرى .. أشعلتها له .. سألته بلهفة داخلية حنون :

ـ ما أخبار المستر بويا .. إنى قلق عليه ؟!.

قال :

ـ أحكى لك من البداية ، حينما جاء المستر (بويا) للعلاج ، كان فاقد الوعى على أثر جلطة فى المخ ، هذا بالإضافة إلى توقف كليته عن العمل . عاودته هذه الجلطة مرة أخرى يوم الثلاثاء الماضى ، نقلوه إلى المستشفى . مات فى نفس اليوم مساء . أريد أن أشرح لك بعض التفاصيل الخاصة حتى تكون يقظا . تطلعت إليه .. تمنيت أن يكف عن الكلام الآن . نظرت بعد لحظة ، فلم أر شيئا أمامى . أحسست أن الدموع الهادئة تخنقنى . أشعل لى الطبيب سيجارة . وضعتها فى فمى . شكرته .

* * *

كانت ماكينة الكلى الصناعية جاهزة لاستقبالى .. قمت أجر جسدى المتعب . أنظر إلى سرير المستر عبد القادر الأخير . داعبته فى قدميه ، فابتسم ، ثم ضحك ضحكة صغيرة على قد الحال ، صحبته فى غدوى ورواحى .. هل

مازلت تنتظرين أباك يا ليما لتنامى فى حضنه . أو ينام هو فى حضنك ؟!.

رأيتك فى ألبوم الصور الذى كان يحمله أبوك سعيداً به ، يوزعها على الممرضات.. يقول :.. هذه زوجتى.. وهذه « ليما » ابنتى لا تنام إلا فى حضنى .. وهذا ابنى (بوبو) عمره خمس سنوات . مازلت أصطحب أباك يا « ليما » ، ولكنى للآن لا أستطيع أن أفسر ، لماذا هجم علىّ من الخلف ، يريد أن يخنقنى من عنقى ؟!.

مساء الخير يا بلدى

وحدى أجتر الذكريات . العاصفة فى الخارج تضرب زجاج النوافذ بقسوة . دمى خارج جسدى فى أنابيب الكلى الصناعية .

الأنابيب حمراء فاقعة جدا .. يبدو أن الإنسان لا يستطيع أن يعرف لون دمه إلا إذا نظر إليه من بعيد . قلت لنفسى : أنت الآن تمتاز بقلب جسور .. لكن ماذا يحدث لو انفجرت أنبوبة من الأنابيب ؟ . سوف يسيح دمك على الفور .. إنها ليست المرة الأولى .. تمتلئ الكلى الصناعية بدمى .. قطرة ... قطرة ... وسيلاً ... سيلاً ... وتدفقاً .. تدفقا .. فى المرات الأولى كنت أخاف .. بل كنت أذعر .. ثم أصابنى نوع من الجرأة .. ثم اندهشت من نفسى عندما أصبحت المسألة عادية . أى نوع من العادية ؟ عادية من نوع غريب . شيء مؤلم ومفرح فى آن واحد . حقيقة مؤلمة للغاية ، وإن كان هذا الألم يتحول رويداً .. رويداً إلى ثقة بالنفس .. إلى نوع من الزهو لأنى أتحمل .

ومن صوت العاصفة فى الخارج .. ومن سيولة الدم فى الأنابيب تنبثق وجوه ... وتختفى وجوه .. هذا الوجه الكبير لا أستطيع أن أعبر عنه .. هل هو وجه مستدير .. ربما .. مليء بالدماء والحيوية .. آه .. نعم .. ينبض بالتاريخ

القديم والحديث إننى جزء صغير جدا منه .. هو الذى يعطينى الحياة إلى الان .. يشع النورَ الدائم إلى كل ذرة فى كيانى .. هل أستطيع وصفه بالكلمات ؟ عبثا أحاول .. هو الذى يصفنى .. هو الذى يحتوينى .. يأمرنى فأطيع .. أخالف أوامره فى بعض الأحيان .. يعترينى الوهن المحبط فى كيانى .. أعود إليه .. أشارفه ويشارفنى .. فتعود الحياة إلىّ من جديد . يعزّ علىّ وصفه .. كما يعز عليه أن أصفه .. يفشل الجميع فى وصفه .. تكفى لمحة واحدة لأصفها .. هذا الذكاء النادر .. نقطة دم واحدة تكفى .. ربع نظرة عين .. أو واحد على مليون .. مليون .. نظرة عين تكفى . إنه هو .. هو .. أصلى وفرعى . طفولتى وصباى وشبابى وشيخوختى المبكرة .. إنه هو .. هو . وهو أنا . أستغفر الله .. إنه الحى المتوارث .. ندىّ الطلعة .. حلو الخطرات .. المتألم .. هو الألم نفسه .. الصابر . هو الصبر نفسه .. المناضل الذى يبحث عن لقمة العيش الشريفة .

أتقلب على سريرى .. ضوء النيون لا قيمة له بجوار ضوء بلادى .. تكييف الهواء لا قيمة له بجوار زمهرير بلادى .. الآن أشتاق إلى لفحة هواء أعرفها جيداً فى قريتى .. نفحة برد حتى ولوكانت قاسية ؟ أحب عواصف بلادى . هذه العاصفة بالخارج ، لا أعرف نواياها .. صوت ماكينة الكلى يوش فى أذنى سخيفا مملا رتيبا .. كم سئمته .. لكن ما باليد حيلة ، تعطينى الماكينة إنذاراً أن الدم الذى يتجمع فى فم الأنابيب ليس كافيا .. أحاول تحويل الإبرة فى ذراعى .. ذراعى الصبور . إننى أقدر ما يعانيه هذا الذراع ؟ أضع شاشاً من القطن تحت الإبرة .. لكن إنذار قلة الدم لا يكف .. أحاول تخفيض سرعة مضخة الدم .. حتى لا تسحب كثيراً .. ينبض الوجه الكبير فى أحد الأركان .. وينتقل من ركن إلى ركن .. يفرش على الأرض .. المكان كله يتحول إلى وجه

كبير .. يناديني .. يبتسم فى وجهى .. يهمس فى أذنى ... أنْ تجلد ... أنت مصرى .. تحمل .. لا أملك إلا السمع والطاعة .. يهون الخطر فى قلبى .. أنظر إلى دمى .. أتعجب ، كيف تواتينى هذه الشجاعة الفريدة ؟ كنت أندب حظى ... لكنى الآن محظوظ . إنه يتحدث إلىّ ، يخاطبنى ، يقترب منى .. لمسة منه تذيب الآلام .. أصل الداء منه وإليه .. يعذبنا ويشقينا .. يفرحنا ويسعدنا .. إننا طوع أنامله ... هو الحنون . الأب والأم .. الأخ ، والصديق ، افتتاحية لابد منها ، حتى نبدأ الرحلة الجديدة .. يسكت إنذار نقص الدم .. العاصفة فى الخارج تنذرنى .. لكنى لا أخاف .. ضوء النيون يملأُ عينى .. لكنه لا يبهرنى ، شمس بلادى هى التى تبهرنى .. بقى من الزمن خمس ساعات ... مرت ساعة واحدة . نحن فى أول عملية الغسيل الكلوى .. مازالت السموم فى الدم ... أغوص فى ملامح الوجه الكبير .. يهدهدنى .. يرعانى ، يشع على الضوء .. أستمد منه الصبر والطيبة .. والحب .. أحاول أن أنام ملء جفونى .. لكن القلق يعترينى .. ذراعى تؤلمنى .. القيود تشدنى ، تربطنى .. أحب أن أصرخ ، أحبك ياوطنى .. أحبك يابلدى .. لا ، لا .. بل أهمس مساء الخير يابلدى .

أريـد أن أنـام

كنت أحاول أن أغمض عيني لأنام . ظللت أحلق فى عوالم كثيرة على بشاشة الحياة والموت ، أماكن وذكريات ومعارك ووجوه بشر . جست فى منحنيات صعبة شائكة . مرت أمامى أيام القهر التى تريد أن تحنى ظهور الرجال الشجعان ... كما مرت الأيام التى تصنع الإرادة والصبر والذكاء ، جعلت أحرك مؤشر الراديو ، على محطات عديدة ، دون أن أظفر بالاستقرار على واحدة منها . كنت سعيداً بغضبى وتمردى مع تسرب العافية من جسدى . استلقيت أطلب الراحة والنجاة من الحاضر ، فإذا الذكريات تصدمنى وتطاردنى . هذه الذكريات هى بيت الداء ، وهى ينبوع الفن فى آن واحد .

كانت الريح تضرب نوافذ الغرفة الضيقة ، وثمة تيار من الهواء البارد يتسلل إلى الداخل. وليس هناك شعاعٌ واحدٌ من النور يخفف حلكة الليل وقسوته . قمت وأضأت المصباح ... ولكن الظلام كان قويا وساطعا . أمسكت كتاباً لأقرأ . هذه الحروف هى سبب سعادتى وشقائى ، فى نفس الوقت . كلمة واحدة يمكن أن تؤدى بالإنسان إلى حبل المشنقة . وعادة يبدأ معظم الكتاب بكلمة نعم ... ولكنى بدأت بكلمة لا . وسوف أظل أقول لا وأنا أعمل . فى

قريتى كنت أتطلع إلى الفجر والنجوم رغم أن قدمى مغروسة فى الطين . الآن وحدى مع الأيام . اغتربت عن الطريق المترب الذى تحوطه أشجار الكازورين والصفصاف وأعواد الأذرة والبرسيم وسنابل القمح ودرنات البطاطس والقلقاس . غابت الرائحة من أنفى ، فأصبحت عديم المذاق . صديق الكاتب يحدثنى وأنا أغرق فى بحر متلاطم كالتائه الذى يريد لمّ شمل جهاده . فقدت الكلمات لونها وطعمها . رميت الكتاب وأطفأت المصباح تطلعت إلى وجه المحبوبة فى الظلام . إنى أعرف ملامحه جيدا . كان الأرهاق يكتنفه . تبين على ملامحه آثار القلق المضنى . همست لها فى سرى ... لا تحزنى وقرى عينا .. إننا لا نملك غير شرفنا وعرقنا . الكلمات وحدها لا تكفى. عرفانى بالجميل لا يقدر أيها المحبوب الذكى الحساس . سحبت الغطاء على جسدى . صوت المدفأة يأز بجوارى . هبّت على خاطرى نسمة من أرواح الأصدقاء الموتى . أنتصبوا يدافعون عن الحياة ، يرتدون « روب » المحاماة الذى كنت أحلم أن أزهو به وأنا صغير . قال كيلانى الشاعر : لست حزينا لأنى فقدت الحياة ، فأنا السيد ، حتى وأنا تحت الثرى ، وقف يلقى شعره ، متحديا البرد والظلام والهموم :

ياطريق الحياة لا الشوك يثنينى لا ... ولا الصخر سوف يثنى طموحى .
سوف أشدو فيملأ النور قلبى . ثم أمشى على رنين صداحى .
وبشعرى أظل أستر عيى ناسجا بالخيال ريش جناحى .
بأرياح الخريف . هبى وثورى واضعفعينى فلن يشل جماحى .

وقال محبوب الفنان : .. حققت صدق وكفى . أشرق صديقى الرسام بقامته الطويلة ، ووجهه الطيب يحطم ذرات الظلام . رسم لى صورة قط أبيض جميل ، ثم قال : هذا هو صديقى العزيز ، ثم رفع كأسا من الشمبانيا فى يده

وهو يهتف ... فى صحة البشر جميعا . قعد على الأرض وهو يبتسم ساخراً . أخرج من جيب معطفه قلمه الرصاص ، ثم همس : هذا القلم لم يستطع أحد أن يشتريه . ضحك فى صفاء بصوت عال . قال : إنى سعيد . لأنى قرأت قبل أن أموت مسرحية « ميجر بربارا» لبرناردشو . الآن أتممت قراءة أعمال العملاق الساخر كلها .

بوتقة الحزن تكبر وأنا أريد أن أنام . شعرت بذراعى الأيسر يؤلمنى . فى الصباح كنت خائفا ومذعورا . قبلات الإبر فى الذراع لم يعد لها مكان ، ألف قبلة وقبلة ... وكل قبلة بمخاطرة وألم جديد . جلد الشريان كله يلتهب باللون الأحمر الداكن . أصبح كالعقد اللولى الأبيض يريد أن يحافظ على زمردة الحياة أصبحت هذه القبلات طابعى الأثير. هى بويضة الحياة مع الموت معا . الأقدام مع التراجع والهرب . لو قال لى أحد أن كل هذا سوف يحدث لما صدقته . كنت أحلم أن ألف بلاد العالم ، أحمل غطائى فوق كتفى . أنام فى أى مكان ، وأشرب من أى مياه . وآكل من خيرات الله ، على وجه الأرض . إن أجمل الشواطئ ، هى تلك التى لم نرها بعد ، وأجمل الأطفال هم الذين لم يولدوا بعد ... هكذا قال ناظم حكمت . الآن طويت الأحلام . فى مرة كنت أمشى على نهر التيمز . كان الشوق قد طال لنهر النيل . غيرت هوية « التيمز» ، انتابتنى الرعشة . حلت بى النشوة . إنى الآن أمشى على نهر النيل . كذبت على نفسى ، حتى أشعر بالأمان . اقتنصت الفرصة النادرة . لايهم ... كل الأنهار ملك للبشر . لا ... لا ... النيل لا مثيل له . كان « التيمز» فى تلك اللحظات ثلجيا وموحشا وغريبا ، لا شمس فوق مياهه . النيل لى وحدى على طول تدفقه من حلوان إلى القاهرة . وعند المقرن حيث يلتقى النيل الأبيض بالنيل

الأزرق فى السودان . هناك مشيت وشربت حتى ارتويت . أريد أن أنام . ازدادت سرعة الريح بالخارج. سمعت قطرات المطر تتساقط على زجاج النافذة . أحسست بالدفء اللذيذ ، غير أن رأسى كان يزدحم بالأفكار المتصارعة . كل فكرة تقفز متلاطمة مع الأخرى ، تريد أن تزيحها عن طريقها . وفجأة يتسلل إلىّ وجه أمى على مهل . كانت تغطى رأسها بطرحتها البيضاء الأليفة . تعتلى الغضون تقاطيعها . لمست ذراعى داعية ... الله يخليك يا ابنى . احتضنتها بين ذراعى . فرت الدموع من عينى .

همست . عفوا يا أمى . لم أستطع أن أمشى فى جنازتك . ابتسمت وهى تقول .. لا تهتم .. أنا أعرف شعورك نحوى . جلست بجوارى على السرير . قالت :

ـ هل أنت بخير؟ .

قلت :

ـ كما ترين ...

قالت :

ـ أدعو لك دائما ...

قلت :

ـ يرحمك الله يا أمى ...

قالت :

ـ أنت لا تغيب عنى أبداً .. أبداً ..

قلت :

ـ وأنت أيضاً ..

قالت :

آه لو عرفت برودة القبر...

غمغمت وأنا أزيح الغطاء عنى :

ـ الله يخليك يا أمى ... الموت يختلط بالحياة ...

واختفى الطيف سريعا . طار بجناحين خفيفين ، عابراً القارات والمحيطات والجبال والصحراء ، حيث حط فى موطنه الأصلى . أحسست بضيق فى صدرى . أنفاسى تختنق من ندرة الهواء المنعش . تطلعت إلى سقف الغرفة ... فاذا به يضىء بحروف حمراء قانية ... آه يا زمن .. أريد أن أنام . انتفضت من السرير ، ونزلت إلى الدور الأول . أشعلت الموقد وعملت شاياً ، ثم صعدت مرة أخرى ، ووضعت الشاى بجوارى أرتشفه . تململ المحبوب يقول :

ـ فيه حاجة ؟ .

قلت :

لا ... أبدا ...

قالت :

ـ كم الساعة الآن ؟ .

قلت :

ـ الثالثة صباحا .

قالت :

ـ لماذا لم تنم ؟ .

قلت :

ـ كنت نائما ... ثم صحوت ...

دخلت تحت الغطاء من جديد . عادت أصوات الموتى فى أذنى . ذراعى يؤلمنى . تعب اليوم كله يحل بجسدى . هل أجرب طريقة أحد الأصدقاء حين كان يعز عليه النوم ... كان يقول لى : إذا كنت قلقا وحزينا ، أو يعز النوم على جفنيك ... عليك أن تكرر بعض الكلمات التافهة ، التى لا معنى لها عشرات المرات ... كرر كلمات مثل ... ريانى يا فجل أخضر ... ريانى يا فجل أخضر ... أى كلام فارغ إلى أن تنام . تذكرت نصيحة الصديق ، فكدت أنفجر من الضحك رغم الأسى ... ولكن لا بأس أن أحاول ... لا بأس . قلت بصوت عال : ... تنتشر القطط والكلاب والفئران فى بريطانيا ... فى المطاعم الصينية فى لندن ... وجعلت أكرر ... القطط ... الكلاب ... بريطانيا .. المطاعم ... بريطانيا .. القطط .. الكلاب .. ووجدت نفسى أستغرق فى النوم .

محب من مصر

فى كل صباح كنت أترقب ساعى البريد . أتصنت على أية حركة غير عادية بجوار الباب ، أو من خلال فرجته . يعترينى نشاط غير عادى لتلقى الصحف ، غير أنى كنت أشد شغفا لانتظار رسائل الأهل والأصدقاء والأحباب . شيء ما يسيطر على كل حواسى ، فيجعلنى كلى آذانا صاغية إلى كل صوت ، أو نأمة تجاه الباب . كنت أتطلع من وراء الستارة الشفافة لأى قادم نحو البيت أو أمامه . وكانت الرؤية تختلط فى عينى بعض الأحيان ، أرى أحد القادمين ، فأستبشر خيراً ، حتى إذا ما اقترب ، اكتشفت أن عينى خدعتنى . الآن قلبى يدق فى صدرى دقات رقيقة حساسة نابضة بالأمل والترقب . يسرى فى دمى تيار من الحرارة . ما الذى يحولنى إلى هذا المخلوق المتلهف على رسالة بعينها ، أنتظرها بفارغ الصبر؟ ! . إنه شيء كالسحر المعتق ، الذى لا أستطيع الفكاك منه . هو يحتوينى بين أعطافه ، أن أحيا من جديد ، على قراءة سطور رسالة قادمة من أرض الوطن . والغريب أنى ضجر ، ويشملنى الضيق ، من أحوال كثيرة ، تحدث هناك ، فما سبب هذا الهيام الذى يعذبنى كل يوم . إنه هيامٌ من نوع غريب ، متضخم العواطف والمشاعر ، إلى حد الانفجار القاتل . فى تلك اللحظة اندفع المظروف الصغير كالطلقة النارية من فرجة الباب . قفزت درجات

السلم فى سرعة فائقة . قلبى قبل قدمى ، عيناى تسبق جسدى . أصبحت فى ثانية واحدة ممغنط الروح والجسد ... وخطفا قبضت على المظروف ، كما لو كنت أمسكت سمكة من البحر ، تريد أن تفلت منى . لم أصدق عينى . ها هى الرسالة التى انتظرتها طويلا . دخلت من الصالة الصغيرة ، وجلست على أحد المقاعد والكلمات بين يدى . عنوان المظروف مكتوب بالحروف اللاتينية على قد الحال . وبالكاد قرأها موظف البريد ... شكراً له على مهارته ، فى فك الرموز المستعصية .. فتحت على مهل . القاهرة فى ... ثم .

* * *

شقيقى العزيز عبد العزيز ...

منذ فترة طويلة لم تكتب إلينا . نحن مشغولون عليكم . نتمنى أن تكونوا فى خير وسعادة وعافية من هنا الجميع يهدونكم عاطر التحية والسلام . وعلى فكرة سمية تزوجت ، وسوف تنتقل مع عريسها إلى الأسكندرية ، فهو مهندس زراعى . أما «مها» فما زالت تؤدى الامتحانات ، ولا تنام إلا فى الساعة الثالثة صباحاً ، ومن هنا فإن البيت فى حالة طوارئ . وعصام يقيم بمديرية التحرير ، ولا يأتى إلا كل شهر مرة . ومن حسن حظه أنه يأكل الدجاج كل يوم ، فهو يعمل فى محطة تربية الدواجن هناك . وقد ذهبنا فى العيد إلى قبر المرحومة الوالدة ، وقرأنا الفاتحة ، ووزعنا ما فيه القسمة ، على الفقراء . وقد أخذناها مشيا على الأقدام من الأمام الشافعى إلى السيدة زينب .

شقيقى الغالى ...

سمعنا فى نشرة الأخبار عندنا أن العواصف تجتاح بريطانيا . ربنا يستر .

عمك باع ربع فدان ليبنى بيتا للعائلة فى أبو كبير ، حتى نتجمع فيه أثناء المناسبات . هل تتصور أن المتر المربع أصبح ثمنه عشرون جنيها . المهم كيف أحوالك العامة والخاصة ؟ وحشتنا جدا والله .

كل أصحابك هنا بخير وسلام ويهدونك أجمل تحية ... محمد عبد الحميد ، والشيخ حنفى ، ومحمد حسن عامر ، والحاج عبد العالِ الشاذلى ، وأيضا أهل شبرا وانشاص وحلوان وامبابه والزيتون والدقى وفاقوس .

نرجو أن تحدثنا فى رسائلك القادمة كيف تعيش فى لندن . وعلى فكرة تهانى تريد أن تحضر لزيارتكم لولا أنك تعرف أن اليد قصيرة ، والعين بصيرة . إنها الآن تذكر الأيام التى كنت تحملها على كتفك وعمرها لا يتعدى الأربع سنوات . هى الآن تحضر لدرجة الماجستير فى الفلسفة الإسلامية . وأمنيتها أن ترتدى الروب الجامعى ، لتصبح أستاذة جامعية ، وحمادة ابنها كبر ، وهو ينطق الآن ماما ... بابا ... وجدو ... وعمو . هل فى لندن مصريون كثيرون ؟ وما أخبار صحتكم ؟ إننا ندعو لكم فى كل صلاة . وماذا تم فى مسألة زرع الكلية ؟ وقد ذهبنا فى الأسبوع الماضى إلى انشاص حيث أكلنا الفراولة هناك . وكان الغداء ملوخية بالأرانب . وإن شاء الله سوف نرسل إليكم بعض الجبن القديم . ونخبرك بأن الدكتور عبد الرحمن التحق بالجيش . وقد كسبت أبنة خالتك كريمة ألفى جنيه ، من شهادة الاستثمار التى اشترتها بالمصادقة منذ عام . وهى تنوى الحج ، وتجديد أثاث البيت من المبلغ . وأما بخصوص الملابس القطنية التى طلبتها ، فقد بحثنا عنها فى محلات القطاع العام والخاص فلم نجد ، ولا تنس بأننا اجتمعنا يوم الجمعة الماضى فى بيت عمك حسنين . وكان طعام

الغذاء فتة وملوخية وسلطة خضراء . وكان ذلك بمناسبة خطوبة منى ، صغرى بناته إلى محمد عبد الرازق ، وهو يعمل أمين شرطة فى نقطة وسط القاهرة . وهو شاب ظريف وهادئ ، كريم ، يحب الضحك . هذا وقد أحيل خالك حسن حمدى إلى المعاش ، ولكنه يشرف على دار حضانة للأطفال ، ليقضى بها وقته ويتسلى . ويؤسفنا أن نخبرك أن عمك إسماعيل توفى بالسكتة القلبية ، وهو يصلى المغرب بالبيت . وأحب أن أخبرك بأن إجلال زوجة ابن أختك الدكتور عبدالمنعم أنجبت بنتا لطيفة سموها دنيا. وأيضا فإن سعاد الشغالة أنجبت توأمين ولدين . وزوج سعاد قد تاب الله عليه ، فلم يعد يدخن الحشيش ولا يأكل الأفيون ، وقد انتقل من وظيفة كبير السعاة ، إلى مساعد كاتب بأرشيف الإصلاح الزراعى ، لأنه تعلم القراء والكتابة . وهناك خبر سار أيضا ، فإن الشيخ محمد عبد الحميد ، والشيخ حنفى ، قد عينا بالمسجد بانشاص بعد أن انضم المسجد ، إلى وزارة الأوقاف . وهما الآن من أصحاب المعاشات بعد عمر طويل . وقد أعطت الأرض هذا العام محصولا وفيرا من الفراولة والبطيخ والقمح والقلقاس . ومازالت شجرة المانجو التى زرعتها موجودة وتطرح كل عام . ويؤسفنى أن أخبرك أن نائب العمدة الرجل السمين ، أخذ حقنة خطأ . فتسمم جسده ، ومات بعد يومين فى المستشفى . وفى الختام أرجو الا تقطعوا الخطابات فنحن مشغولون عليكم .

شقيقك المخلص

« محمد عثمان »

* * *

الآن أتنفس من أعماق صدرى . أستريح . أمسكت الخطاب من البداية ، وقرأته مرة أخرى . لم أكن أمل النظر الى حروفه . إنى أعرفها جيداً ، منذ أن كنت صغيرا . كان أخى يعلمنى الكتابة والقراءة ، فى كتاب المحفوظات ، يزهو بى عندما أترنم :

مصر العزيزة لى وطن
وهى الحمى وهى السكن
وهى الفريدة فى الزمن

وآه من الأحوال ... كم تغيرت السنوات منذ نشيد المحفوظات إلى وقتنا الحاضر، كبر الطفل، واستوى صبيا، وأدرك شابا، ووعى وهو رجل، أن له وطنا عربيا أكبر. لكن ذكريات الطفولة لا تمحى أبداً. هأنذا فى لندن. ما أحلى كلمات القاهرة وليالى القاهرة . على النيل كنا نتسلى بالترمس والفول السودانى والحلبة الخضراء . وفى مقاهى الحارات والشوارع نجهد من المناقشات الحامية . كان الوطن فى خطر. وكنا نتسابق من منا يرتدى زى الفدائيين قبل الآخر؟ . ومن جديد كان يخبو كل شىء ويهمد . نعود إلى الملل والإحباط ، ليس هناك من ينقذنا من همنا وكآبتنا غير الكلمات . نسبح فى بحر القهر واللامبالاة . العلاقات العائلية لا تشبع الروح . العمل يدور بين جدران أربعة . الآن أعود إلى أصلى . ها هى الكلمات تصلنى من القرية ، لابد أن أرد عليها ، قبل أن يعترينى الوخم . الأيام تجرى ونحن لا ندرى ، كما كان يقول لنا مدرس اللغة العربية أصبحنا الآن محصورين فى ثقافة مغايرة لثقافتنا ، علينا أن نأخذ منها الأفضل ونترك الردىء، لكنى أشتاق إلى أشياء معينة لا أجدها هنا . صباح

الخير لها طعم آخر غير تلك نقولها فى القاهرة . أين السلام عليكم ، أو الله يعطيك العافية .

* * *

وتمر الأيام وأدس رسالة الشقيق فى حافظتى . كنت أشعر بالذنب . وفى ليلة كنت أفكر ... هذه الغربة تفرض علينا الكثير ... كنت فى قريتى أرتدى جلباباً ريفيا بسيطاً ، أقعد وسط الحقل ، تحت شجرة الصفصاف ، وفى يدى كتابى أقرأ ... أشرب من ماء النيل ، وآكل من خيرات الله . ما علينا ، لابد أن أرد على رسالة الشقيق .

* * *

شقيقى العزيز محمد ...

قبلاتى وأشواقى ، لا تتصوركم فرحت بكلماتك فى هذه الغربة القاسية . أتمنى أن تكون جميع العائلة ومصر كلها بخير . إننا هنا نذكركم فى كل لحظة . اشتقنا إلى عواطفكم الدافئة . ماكنت أحسب أنى سوف أبقى فى هذه البلاد ، هذه المدة الطويلة ، ولكن إرادة الله هى التى ترتب كل شىء .. وآه من الظروف التى مرت بنا هنا . أقول لك بصراحة ... إن أقوى الرجال يعجز عن تحمل ما تحملنا ... إن ثريا كما تعرف ، لم تمر بها تجارب كبيرة قبل هذه التجربة ، ولكنها رفعت رأسها ضد كل العواصف الهوجاء . كانت وما تزال تتصرف بذكاء وإصرار غريب ، لتدافع عن حياتنا . أتمنى وما أتمنى على الله الكثير أن يعطيها نفاذ البصيرة دائما . أنا أكتب لك هذه الكلمات وأمامى حديقة بيتنا الخلفية . ها هى الورود تتفتح فى عينى ، كل شىء ملون بالأخضر هنا .

لندن ليست مدينة الضباب والمطر . هل تذكر بساتين انشاص الخضراء ؟ . إن الملك فاروق ، كان يريد تلك البساتين مثل حدائق بريطانيا الفسيحة . تربى الملك هنا ، منذ أن كان أميرا غضا ، تفتحت عيناه على حب الحياة البريطانية . الآن ذهب كل شيء ، ولم يبق من الملك إلا التاريخ ، وعظامه المدفونة فى مصر. دعك من الماضى وذكرياته . لقد فرحنا بالبطاطس المصرية هنا فرحا شديداً ، لأن طعمها لذيذ . فى بعض الأحيان أسير فى شارع أوكسفورد ، فأتوهم أنى أسير فى شارع فؤاد. على أن مايحزننى جموح ابنتى صفاء فهى مازالت تتأرجح بين الحضارة الغربية وأصلنا الشرقى . هل تذكر يوم أن حملتها بين يدى لأول مرة بعد ولادتها بساعات . إنها الآن شخصية ، تتحدث الانجليزية . تسبب لنا عذاباً لا نستطيع تحمله . بالأمس دخلت البيت وفى هدوء شديد قالت : سوف أترك البيت ، لأقيم وحدى . وفى اليوم التالى وقفنا جميعاً نودعها على عتبة الباب . كانت تحمل حقيبتها باليد اليمنى . تبادلنا النظرات . نكسنا رءوسنا فى لحظة واحدة . يا له من وداع لم يطرق خيالى لحظة سابقة ، لكنه حدث . كانت الدنيا تمطر . فردت صفاء مظلتها فوق رأسها . وكان آخر ما رأيته منها ، هو كتفها الأيمن مع جانب من رأسها . ولم يبق منها سوى ذكريات إحدى وعشرين سنة من عمرى . فى تلك اللحظة يا شقيقى محمد ، تجمدت دمعتان ساخنتان فى عينى ، وددت لو انحدرتا على خدى ، حتى أستريح وأبكى ، لكن للأسف توقفت الدمعتان الحارتان فى عينى . لم أكن أعى ما حولى . تهت فى الزمن الماضى . كان عمر صفاء آنذاك خمس سنوات ، تتدحرج ورائى عند عين حلوان فى الخلاء . أنا وهى وحدنا . وقتها كنت قد فرغت من قراءة رواية نجيب محفوظ « الطريق » . وكان يلذ لى كما كان بطل

الرواية يتحدث فى الخلاء ، باحثاً عن أبيه ... اشتقت لك يا سيد يارحيمى .. اشتقت لك ياسيد يارحيمى ... كانت هى تقف بعيداً ... ثم تجىء إلىّ تجرى ... وتقول نفس الكلمات ... ونفس النداء .. هل تنقلب اللحظة النقية الجميلة إلى واقع كئيب أعانيه ؟ . كنت أريد أن أحدثكم عن لندن كثيراً . هذه المدينة الجادة العابثة الجميلة المتجهمة . منذ أيام قابلت بالصدفة فى شارع البيكاديللى محمود شكوكو . جريت إليه أسلم عليه . فرحت به جدا . لا أنسى أول مرة سمعت له مونولوجا ، «آه م الأسعار ، حتولع نار عند التجار ... آه م الأسعار . » ذكرته بالمونولوج الشهير ... فضحك ضحكته الصافية العالية وهو يقول ... ياه ... دا كان زمان قوى ... أيام النحاس والوفد أظن . وصمت هادئاً ، ثم انفجر ضاحكا مرة أخرى قائلا ... كانت أيام ... وقال لى : نحب نتعرف . قلت له : أنا محب من مصر .. غريب فى لندن . قال : معهلش مسير .. الغريب يرجع بلده . وفى آخر الشارع واجهنى شحاذ يطلب حسنة ... ابتسمت ... إنه يتحدث الانجليزية ...

وأخبرك بأنى موضوع على قائمة انتظار زرع الكلية . من يدرى ... إنها فرصة نادرة قد تحدث ... من يدرى ؟ . تقلبت على اللظى بعد قراءة رسالتكم . كنت أترنم ببيت الشاعر العربى القديم :

أسرب القطا ، هل من يعير جناحيه
لعلى إلى من هويت أطير؟ ! .

أريد أن أحتضنكم جميعا فى صدرى ، ألمسكم ، أتحسس أياديكم ووجوهكم وأعينكم . أشم روائحكم عن قرب ، أثرثر معكم ، أصمت

معكم ، أحزن معكم ، أفرح معكم . أريد أن أسبح فى نهر مودتكم . انت تعرف أنى إنسان عاطفى . وفى الختام قبلاتى ودمت لشقيقك المخلص .

«عبد العزيز عثمان»

* * *

نسيت أن أقول لك أنى كتبت إليك هذه الكلمات من حجرة صفاء الموحشة . إن كل شيء على حاله ، كما تركته ... الكومودينو وزجاجة عطرها ورائحتها ... وأنفاسها الحارة ، لم تضع بعد من عبق المكان ... حتى بقايا كوب الشاى لا يزال بجوار سريرها .

حلم ليلة شتاء ...

ظلت الريح تضرب النوافذ ضربات متلاحقة مجنونة . وكانت الأمطار تتسرب على الزجاج فى خطوط غزيرة مقهورة . وبين الحين والآخر تتقاذف ألسنة لهب البرق حبات المطر المتناثرة . تصك أذنى هزات الرعد المخيف ، فأنكمش في سريرى . وحدى فى شمال لندن الغربى ، يحتوينى الرعب . تمنيت ، وما تمنيت على الله الكثير أن أفك قيودى لأواجه تطبيب جروحى . الإبرتان تشلان ذراعى الأيسر . لم يكن هناك أحد ألجأ إليه إلا الله . فى الداخل كنت أعالج وضع الهيبارين ، والضغط المنخفض ، والصداع ، وذبذبة الجسد الواهن . وفى الخارج أدعو وأتضرع أن يرفع الله مقته وغضبه عنى . كنت أهفو لأغفو إلى النهاية . خيوط العنكبوت تنفذ إلى قلبى . من ينقذنى من همى وكآبتى وألمى ؟ . طالعنى وجه الصديق الأسمر القديم . طال الشوق إلى لقائه . هو الآخر يعيش فى الصقيع ، ولكن صدره عامرٌ بروح المستقبل . ألقى التحية ، ثم جلس بجوارى يهمس :

- كتبتُ قصيدة شعر جديدة ... هل تسمع ؟ .

قلت وأنا أتزايل :

ـ إني متعب يا صاحبي ...

قال :

ـ أنت تعرف أننا مرضى بالكلمات ... كل كلمة فيها الداء والدواء معا ...

وهز رأسة وهو يمسح فمه :

ـ هل يتغير العالم بالكلمات ؟ .

أشحت بيدى اليمنى الحرة :

ـ ربما ... ربما .

قال :

ـ ولكن الفعل قبل الكلمة ... هل تسمعنى ؟! .

قلت :

ـ لا أستطيع التركيز ...

قال وهو يمسح على جبهتى حنانا ومودة :

ـ أتركك لتنام ...

همست :

ـ لا تتركنى وحدى ...

وساد الصمت بيننا . علت دقات الماكينة . توقفت مضخة الدم . إبرة الشريان لا تسحب الدم بما فيه الكفاية .

قال :

ـ أهذه هى التكنولوجيا الحديثة ؟ .

قلت :

ـ يرحمك الله ... ليس بعد خلقه من خلق ... أسمعنى القصيدة ...

قال :

ـ الآن لا وقت للشعر... هل تذكر؟ .

قلت :

ـ أذكر أولا أذكر... ليست هذه هي القضية...

وازدادت ضربات الريح عنفا. بقايا رائحة المرضى تزكم المكان. ماكينات الكلى الصناعية ترقد مثل جثث الأشباح فى منتصف الليل. قطب صديقى حاجبيه، وهو غاضب. وقال :

ـ متى تنتهى ؟ .

قلت :

ـ فى الخامسة صباحا...

قال :

ـ يا صبرك يا أخى...

وتململ فى جلسته يحب أن يطير. تعجبت... طالما ضحكنا معا، وبكينا معا فى حانتنا المشهورة. حاولت أن ألتمس له العذر. ضايقنى وأنا فى حاجة إلى صحبته. تحسست كتفه، فلم أجده.

* * *

وعدت إلى عالمى أهفو لأغفو، بالموت أو النسيان. قفلت عيني بإصرار. كمية السموم تتضاءل من دمى. أودعت سرى إلى خالقى. وشملتنى طمأنينة هادئة. وضح الطريق أمامى. هو نفسه، ما تعودت عليه منذ أيام الطفولة. وتكثفت لذة الألم فى ذرات صغيرة حول العنق وفى الأمعاء. الآن أدخل

جنتى . شددت لجام جوادى المرهق . اعتليت صهوته الحريرية . راقت الدنيا من جديد . تربصت للزمن القادم . جربت قوة الذراعين . تذوقت حلاوة الابتسام . أخرجت سيفى الذهبى من غمده . طال وقت رقاده . بسملت فى سرى . إنى لست معتديا . حسبى أن أنظف طريقى الذى تعودت عليه . تطلعت إلى النهر الصغير ، فوجدت السمك يتقافز ، يطفو على السطح ، ثم يغوص مرة أخرى . قطفت زهرة يانعة بنفسجية اللون . أكلت كسرة خبز ، ثم شربت جرعة ماء من زمزم ، أخرجت شوكة قديمة من قدمى . صهل الجواد ، فازدادت حلاوة الإقدام والمغامرة فى روحى . ثم عدت وهمست ، العفو عند المقدرة أفضل ، ورتلت : فإذا الذى بينك وبينه عداوة ، كأنه ولى حميم ، ولم أكمل . انطلقت رصاصة وراء أذنى مباشرة . إذن لا مفر من القتال . من أين جاءت الطلقة ؟ . ولوحت بسيفى فى الهواء . هل من منازل ؟ لكنى لم أر إنسانا أو جنا فى الساحة الخاوية . شددت لجام الجواد ثم أرخيته ، فاندفعت حوافره تسابق الريح . حلقت خفيف الوزن ... أغنى ... أيها الأنذال ، هل من مقاتل ؟! .

* * *

وفتحت عينى على إنذار الماكينة المجهدة . ما تزال الريح تضرب النافذة ، وقطرات المطر تتساقط على الزجاج . عالجت الخطأ ، فدارت مضخة الدم من جديد . كبا جوادى ، فقمت أركض لأستعد للمعركة القادمة .

بيـــــان

طرقوا الباب عليه . لم يستطع أن يفتح لهم . ظل ممدداً على سريره ، مقيد الذراعين . زادوا من عنف الضربات . سأل :

ـ من بالباب ؟

قالوا :

ـ نحن .. أنت تعرفنا جيدا .

تحير فى نفسه . منذ وقت بعيد ، لم يطرقوا بابه . تركهم هناك لينجو بنفسه . كيف يلاحقونه فى هذه الغربة . ألا يكفى ما يقاسيه من عذاب ؟ . فك أسر ذراعه اليسرى . تزايل ، وهو يحاول أن يفتح الباب لهم . لم يعد يقوى على رد الهجوم . أترعت روحه بالمرارة الشديدة. كيف يجرؤون على اقتحامه هكذا. إنه عديم الثقة بهم . تاريخ طويل ، وهم يدلسون عليه . أيام كان فى كامل صحته ، يراودونه عن شرفه وأصالته . لم يكن أمامه إلا القصص يكتبها ، يطرد عن روحه هذه الشرور. الآن يعاودون المحاولة . هتف دون أن يسمعوه ... ابعدوا عنى أرجوكم .. ابعدوا عنى ... دعونى فى حالى .

نظروا إلى وجهه الأصفر ، فقالوا :

ـ جئنا لنطمئن عليك ...

رد عليهم فى العلن :

ـ شكراً ... شكراً ...

وفى سره :

ـ بئست بها من زيارة للاطمئنان ! .

فهموا قصده ، فقالوا :

ـ رجعت إلى عادتك القديمة .

قال :

ـ وماذا أستطيع أن أفعل ؟ .

قالوا :

كن صريحا معنا نكن صرحاء معك .

قال :

ـ لم أكن غامضا فى يوم من الأيام .

نظروا إلى الدماء النازفة من جسده ، والعائدة إ

ـ قلوبنا معك ...

ـ شكراً ... شكراً ...

لم يكن الموقف قد اتضح بعد . فهم يلفون ويدورو
يخاف ، ولكنه لا يريد أن ينهار أمامهم . من خبرته مع
منهارا وكاذبا ومنافقا وأفاقا . ومن خبرتهم معه يعرفو

جلسوا حول سرير مرضه :

ـ نحن معك إلى النهاية ... اطلب ما تشاء . نحققه لك

قال في العلن .

ـ جميلكم سابق .. إنى عاجز عن شكركم ...

وفى سره :

ـ دعونى لحالى ...

أخرج أحدهم بياناً من جيبه ، قال :

ـ جئناك اليوم لتوقع هذا البيان ... هل تقبل ؟

قال :

ـ أقرأه فى البداية ...

مد الزائر يده إليه بالبيان. اقترب من سريره. ذعر حين نظر إلى عينه الحادتين. كان وجهه يشع برعب غريب . تتشح جبهته بندوب عميقة الغور . فى صوته . بحة كئيبة المرمى . لم يستطع أن ينظر فى سحنته . خبيث هو وشرير . مهندس فى سحق الأرواح البشرية . تناول منه البيان . كان مكتوبا بخط أنيق واضح ... على ورق ملون... نحن الآلاف... نؤيد خطواتكم.. نفديكم بالأرواح.. جنودكم على الطريق ... بالدماء نقدم . قال فى سره : هذا هو البيان الواحد بعد المليون ، دون جدوى وسوف تجىء بعده بيانات أخرى .

كان الزائرون يتقلدون الأوسمة والنياشين ، يضعون القرنفلات الحمراء فى عراوى معاطفهم ، معطرى الصدور ، يتبادلون الود . ينزوى هو فى سريره ، مشتاقا إلى الشفاء ، وليس هناك من شفاء . مرضه الأكبر لم يكن جسده ، وانما كان المرض الذى يريد هؤلاء الزائرون المفاجئون أن يفرضوه عليه ، أن يوقع على

بيانهم . هويته ليست أن يوقع بيانات ، وإنما أن يخفف من آلام الناس ، وأن يخفف الوطء حينما يمشى على الأرض ، وأن يأكل من ثمارها مباشرة ، وأن يحب الناس والدنيا جميعا . ويا ليت بيانهم يتضمن حقيقة واحدة .... تقطع يده إذا ...

قدموا له فاكهة الزيارة ... عنب وموز وتفاح وأناناس ...

قال لهم فى العلن :

– أشكركم كثيراً ...

وفى سره :

– فاكهتى هى حريتى ... بئست بها من فاكهة هذه ، مغتصبة من قوت الفقراء .

الآن العين فى العين ، يعيش فى قلب التحدى . ينزف من الداخل والخارج معا . دماؤه الحقيقية تسيل فى دورتها ، يعرف كيف يسيطر عليها بعد جهد جهيد . لم يعد يخاف خطورة هذه الدورة ، الخوف من دورة هؤلاء الزوار . هبت بعض النسمات . طار طرف معطف أحدهم ، فظهر خنجره ، من تحت المعطف . لم يصلوا إلى درجة التهديد بعد . ما زالوا فى دور الترغيب والمساومة . وقّع يا عزيزنا على البيان .. نحن معك .. لن نتخلى عنك أبداً .. نتحمل مسئوليتك كاملة . هل توقع أم لا ؟ سأل أحدهما .

قال :

– دعونى أفكر .. أعطونى فرصة ...

قالوا فى صوت واحد . على مهلك ... ليس وراءنا شىء نتعجل أمره . حسبنا أن تفكر جيداً . هذا بيان للناس ، يهمنا الناس جميعا . أراد أن يقدم لهم تحية الضيوف ، فلم يستطع ، مكبل بقيوده . كريم الطبع ، لكنه لا يقدر على الحركة . اعتذر لهم :

ـ عفوا ... لا أقدر أن أقدم الشاى أو القهوة .

قالوا :

ـ شفاك الله ... ما جئنا نشرب قهوة أو شايا ... جئنا للاطمئنان عليك .

انتهز الفرصة وقال :

ـ وإمضاء البيان ... هل من الضرورى أن أوقع عليه ؟ .

ضحكوا ثم قالوا :

ـ نحن نفضل أن توقع .. نفضل أن توقع ... هل تفهمنا ؟ .

قال :

ـ ولكن معركتى ليست فى توقيع البيانات اليوم .

قالوا :

ـ نفضل أن توقع ... وقع يا أخى واخلص ...

قال :

ـ معركتى ضد الموت ... هل تفهمون ؟! ..

قالوا :

ـ دعك من هذه النغمة القديمة ... نفضل ألا تتعرض لمتاعب جديدة ...

تمدد على سريره وراح يعالج نزيفه . عظامه تؤلمه . يتطلع إلى دورة الدماء فيتعجب . كيف أمكنه السيطرة عليها ؟ . أراد أن يشرح لهم هذه المعجزة الطبية

التى يمارسها ، ولكنه فضل السكوت . تركهم لذكائهم وغبائهم . يفهمون أو لا يفهمون . حسبه ألا يتعرض أحد من أعدائه قبل أصدقائه لتجربة المرض . ليس من بلده وحدها ، وإنما على وجه الأرض كلها . يجب أن يكون مصرع العدو فى ساحة حرب عادلة مشروعة ليشهد التاريخ . سمت إنسانيته فوق النذالة والمؤمرات والتشفى والأحقاد الصغيرة . تمنى أن يبادلوه محبة بمحبة . ومودة بأخرى ، ولكنهم يرفضون المودات والحب . يحلولهم أن يلغوا فى كرههم وحقدهم ... تتطلع إلى وجوههم المتحفزة . فامتلأت نفسه رثاء لهم . يا حضرات الأذلاء متى تصبحون سادة أنفسكم ؟ . وإذا أردتم أن تكونوا عبيدا . هل من الضرورى أن تجروا الآخرين إلى ساحة عبوديتكم ؟ . لم ينطق بكلماته ، فالخناجر تحت معاطفهم . وهم مستعدون لاغتيال مخالفيهم فى الرأى . شعر أن الملقى على سرير المرض أقوى منهم . إنه يسبح مع الفقراء فى نهر واحد ... تشع من عينيه قريته عند أحضان الجبل . حقولها وسوقها وناسها . وطريقه الذى لا يحيد عنه . كم أوحشه هذا الطريق وقت العودة من الحقول ! . الفلاحون معفرى الجبين . وأيام حصاد الفول السودانى والقمح والأذرة والفراولة . وظلال الأشجار تنام على مياه الترعة الصغيرة . والخراف والكلاب وراء قافلة الحصاد . وأمسيات الضحك والمودات الحميمة . هؤلاء زوار الغربة يريدونه شجرة بلا جذور . لجأ إلى القرآن يستعيذ به من الشياطين ... قل لا يستوى الأعمى والبصير . ولا الخبيث مع الطيب . وشفت فى رأسه الأفكار ... فأخضع الجسد الواهن لها . لن يوقع البيان ... وليكن ما يكون . فرت الدموع من عينيه . وقفوا جميعا يحيطون به .

ـ ما الذى يبكيك ؟ .

قال فى العلن .

ــ لا شئ .. لا شئ .

وفى سره :

ــ إن الدموع تطهر الإنسان .. لا بأس أن نبكى لحظة أن نتمسك بأفكارنا ...

قدموا له جرعات الماء . تقبلها شاكراً . أزدادت دموعه سيولة . من عادته أن يبكى كلما التقى الإنسان بأخيه الإنسان . ماكان يجب أن يبكى فى حضرتهم . هؤلاء باعوا أنفسهم ، ويريدون أن يبيعوا الآخرين أيضا . هو يصمم ألا يبيع عواطفه أو أفكاره ، مهما كان الثمن . قال فى همس :

ــ أيها السادة لن أوقع البيان ...

سمعه أحدهم :

ــ كيف ... أنت مجنون ... لدينا توقيعات كثيرة ... فكر يا مجنون .

قال :

ــ أنا أعرف أصحاب هذه التوقيعات ...

قالوا :

ــ ماذا تعنى ؟ .

قال :

ــ لا أعنى شيئا ... معركتى ضد الموت ... وليست ضد ... هل تفهمون ؟ .

وكاد أن يفقد وعيه . نزل ضغطه إلى درجته الدنيا . لم يعد يسمع أصواتهم . استراح على وسادته . غاص فى بئر مظلم من اللاجدوى . رأى جثث الموتى فى صفوف متراصة . انتابته قشعريرة مفاجئة . من لم يمت بحد السيف مات بغيره .

ليته يموت بحد السيف . لا يحب أن يموت على سرير المرض ، أمله أن يموت فى ميدان القتال ، وسط اللهب المحرق ، وطلقات الرصاص ، ودوى القنابل ، يحارب المستغلين والمرتشين والأفاقين وجها لوجه . الوقت ليس مناسبا لمعارك هامشية .

وانفتحت له طاقة القدر . دخلت عليه زوجته وولده . انتفض من الفرح . أشار اليها يعرفهم بها .. هذه زوجتى قمر ... وهذا ولدى لطيف ، وهؤلاء زوار من البلد جاءوا للاطمئنان يا قمر ..

قالت قمر :

ـ أهلا وسهلا .. كيف أحوال البلد ؟ .

قالوا :

ـ بخير .. كلهم يهدونك السلام .

قالت :

ـ وبيتنا فى زاوية .. ؟

ـ كما تركتموه ... ينتظر عودتكم ...

ـ ولكننا لا نستطيع العودة قريبا ..

ـ نرجو أن تعودوا بخير .

قال :

ـ للضرورة أحكام ... ليتنى أعود هذه اللحظة .

قالوا :

ـ يا مدام ... نحن نريد أن يوقع البيان الذى جئنا به من البلد .

قالت الزوجة :

ـ أى بيان ؟ .

قالوا :

ـ هو يعرف ما نريد جيدا ...

من خبرتها تعرف ما تحويه البيانات . لا تنسى عندما زارته مرة منذ سنوات فى معتقله . أحضروا لها بياناً ليوقعه حتى يفرجوا عنه . كان مضمونه أن يتخلى عن الوقوف بجوار الفقراء . رفض التوقيع ، فبقى فى معتقله . إنهم يعاودون المحاولة من جديد ، الاستنكار من جديد .

هى تعرف زوجها . لن يستنكر الوقوف بجوار الفقراء ، حتى وهو على فراش الموت . ما أهمية توقيعه الآن ؟ . هو ذاهب إلى الموت ، ما أقسى أحكام هؤلاء الزائرين ؟ ! . ألا تكفيهم توقيعات الأصحاء ؟ . يريدون توقيعات ...

ووضعت زوجته يدها فوق جبهته . كانت باردة تماما . حركت ذراعه . فلانت معها الذراع . أشارت إلى ابنها أن يترك المكان .

دفع الفضول الولد الصغير ليسأل :

ـ ومن هؤلاء يا ماما ؟

قالت :

ـ هؤلاء زوار من البلد يا حبيبى .

قال :

ـ جاءوا ليحضروا عيد ميلادى ...

سكتت الأم ، فقالوا :

ـ كل سنة وأنت طيب يا لطيف ...

وأفاق من إغماءته . زادت سيولة دموعه . جاءوا لأوقع بيان الاستنكار يا ولدى . عيد ميلادك يوم تشرق شمس الحرية والرخاء فى وطنك . مازال البيان فى يده . وصينية الشاى على كف زوجته . والخناجر تحت معاطفهم . والسؤال الملح على الألسنة .

ـ هل توقع البيان ؟ .

قالت الزوجة :

ـ اشربوا الشاى أولا ...

مدوا أياديهم إلى صينية الشاى . ظلوا يرتشفون منتظرين . وهو يقرأ من جديد . أستنكر بشدة ما حدث أخيراً ... ونحن جنودك إلى النهاية ... وزاغ بصره فى الحاضرين . لم يعد يقوى على الرفض أو القبول . انهارت منه ذرات الجسد ... لكن معناه ظل قائما ... قصف القلم فى يده ... وانحنى على جانبه الأيسر ... طلب جرعة ماء ... شربها ... ثم راح فى سبات عميق .

قــدمــان

في كل صباح كنا نشتاق إلى رؤيتها ، نتطلع عليها من النافذة . نرتاح لطيفها . لم نكن نعرف اسمها أو عملها أو سبب حضورها . فى البداية لم يشغلنا الأمر ، لكن الفضول كان يدفعنا فى بعض الأحيان أن نزيد يقظتنا . امرأة ممتلئة الجسم ، بيضاء تضع على عينيها نظارتين شفافتين ... فى قوة الحصان ... حادة النظرات ... تدب على الأرض بخطوات ثابتة . تقف بجوار بيت صديقتها ... تتلهف لخروجها . وبعد مدة تترك الصديقة البيت مع ابنتيها الصغيرتين . إحداهما فى يدها اليمنى والأخرى فى اليسرى . تقبلها المرأة المنتظرة ... تتسلمها .. إلى أين ؟ .. يتكرر الانتظار والقبلات والبهجة الداخلية أمامنا كل صباح . تمر الأيام . نعرف أن أم الطفلين تعمل مدرسة موسيقى ، هل الأخرى مدرسة أيضا ؟ لم نعرف اسمها وإن كانت تعلق مصحفا على صدرها . تلك كانت المشكلة وما تزال ، أن نعرف المزيد عنها . الآن لم يعد الاسم مهما . نريد أن نراها هى ، انقطعت عن المجىء . كان الأمر مجرد فضول . لكنه انقلب إلى اهتمام . والاهتمام تطلب البحث .. أين نبحث عنها ؟ . لنسأل الجيران .. لكن كل جار فى حاله وهمومه . لم يعد أحد يهتم بالآخر . كانت هذه المرأة هى الحبل السرى الذى يربطنا بالمكان . وبمجرد اختفائها اختفت صديقتها واختفت الطفلتان جف

الشارع من ابتسامة كل صباح . أصبح قفراً من الخطوات الموقعة المنتظرة الملهوفة . شيء لا يهمنا . ينبغي أن نتجاهله . حاولنا لمدة أيام ، ولكن الاهتمام عاد إلى عقولنا ، ثم طرق أحزاننا القديمة . قالت لى زوجتى فجأة :

ـ الست المدرسة لم تعد تأتى ...

صهينت عن عمد :

ـ يعنى ..

قالت زوجتى :

ـ يعنى إيه ..

قلت :

ـ تلاقيها انتقلت إلى مدرسة ثانية ..

قالت الزوجة :

ـ أصل مارى تنزل تجيب اللبن كل يوم ..

قلت :

ـ وهى مالها ومال اللبن ؟

قالت :

ـ إزاى .. ماهيّه اللى كانت بتجيب اللبن كل يوم .. إنت مش فاكر . ؟

ضغطت على هواجسى القلقة ..

ـ مش مشكلة .. أهم بناتها ..

خرخشت فى صدرى ضحكات الطفلتين مع ضحكاتها ذات صباح . كنت أشعر بالكآبة .. أصبح الأمر يهمنى .. ضاقت المنسافة بينى وبين الغائبة الحاضرة . لا أحب أن تضيع منى الفرصة دون أن أعرف .. لم أتعود أن أكون

متفرجاً حتى النهاية . أنفاس البشر تدفئ روحي . خطواتهم على الأرض تزيد قامتي ارتفاعا . أعشق كلماتهم حتى بعد أن تطير فى الأثير .. الإنسان هو حبي فى الحياة . شيء ما أرقني طوال الليل . أين راحت صاحبة النظارتين الشفافتين ؟! . علمت أنها عانس . هل اكتفت من الدنيا بصداقة الطفلتين ؟ . تنتظرهما فى الصباح لتوصلهما إلى المدرسة ، ثم تعود بهما بعد الظهر . وفى النظرات وتوقيع الخطوات والقبلات .. وفى أحضار اللبن .. تعرف الحب . لم تعد الطفلتان تخرجان فى الميعاد المحدد . غشيت عيوننا فى كل صباح . شيء ما انكسر فى قلوبنا .. بلورة نقية كنا نحرص على الاحتفاظ بها . آه لو نعرف أسمها . بعض التفاصيل عن حياتها اليومية الأخرى . ودبت البلادة فى الشارع رغم عشرات التلاميذ والتلميذات الذاهبات إلى المدرسة . لماذا أختفت صاحبة المصحف ؟. سكنت الموسيقى المنبعثة من بيت المدرسة .. احتجبت الطفلتان فترة طويلة . لا ندرى سببا لذلك .. ظللنا نحتفظ بقلقنا وحزننا فى داخلنا لا نبوح به إلى أحد . كنا نتصور أنها سوف تعود ، تدب على الأرض بحيويتها . يسرى فى شارعنا روحها الودود ، وطيفها المرفرف . إلى من نشكو قلقنا ؟ لماذا يأرق الإنسان من أجل أخيه الإنسان إلى هذه الدرجة دون أن يعرفه ؟ هل نحن فى ساحة حرب . فقدنا أحد الرفاق ؟. وبعد مرور الأيام ظللتنا سحبُ اليأس من عودة محبة الحياة . كنا نعرف أن مرور الأيام ربما ينسينا ما حدث . وهو عابر فى شارعنا . لكن دائرة الشوق ظلت تتسع وتتسع الى أن تحكمت فينا تماما . أختفى رمز التفاؤل من أعيننا ، أجدب الصباح فى قلوبنا .

قالت زوجتي :

ـ هل يمكن أن نسأل المدرسة ؟ .

قلت :

ـ أخشى ذلك ، من يدرى ؟

ـ لا أنكرك أنى متشائمة ... ما الذى حدث ؟

لم أستطع أن أرد عليها . طويت مخاوفى فى داخلى . البوح صعب . خطر لى أن أكتب قصيدة شعر حتى أنفس عن مشاعرى المكبوتة ، فلم أقدر . ضاعت الكلمات والخيال . كيف الجأ إلى رموز الكلمات أمام لحم الواقع ودمه . .؟. أصابنى نوع من الهم الدائم الذى يصاحبنى فى غدوى ورواحى . توقفت فى الشرفة أتأمل . كانت الشمس تلقى بضوئها المتوهج على المكان . ضحى حلوان الفريد ينعش الروح . استرخيت على مقعد فى عين الشمس . كنت أحب أن آخذ حماماً من الدفء اللذيذ .. ندمت على أنى أضيّع الوقت فى الهواجس والظنون التى لا معنى لها ، ثم عدت أركن بصرى على المكان الذى كانت تلتقى فيه الطفلتان بالمرأة . تسمرت نظراتى على مساحة بعينها ، هنا كانت تنفجر الضحكات ، يمتلئ الأثير بالحماس ، تكتسب الأرض رونقها وأهميتها بخطوات الإنسان وأنفاسه . هنا كانت تنتثر الرغبات والأمنيات فى كل صباح جديد .

ولم أرفع عينى إلا على مدرسة الموسيقى أم الطفلتين وهى تتشح بالسواد .

لحظتها أدركت كل شىء . وبمرور الأيام تحول الهم إلى حزن ، ثم تحول الحزن الى صمت ، ثم راح الصمت ينفجر الى نتف صغيرة حادة من الغيظ .. وكان آخر ما رأيناه فى شارعنا قدمين صغيرتين ، لإحدى الطفلتين تجرهما فى تعب ... وحيدة مكتئبة .

فهـرس

صفحة

... الكاتب فى سطور ...

- تفتح وجدانه ، وهو صبى صغير على الظلم والقهر الواقع على الفلاحين فى قرى الدلتا بمصر .
- حاصل على ليسانس اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة .
- بدأ كتابة القصة القصيرة عام ١٩٥٣ .
- عمل فى صحيفتى المساء والجمهورية ، حيث تابع طيلة تلك السنوات الإنجازات الهامة فى الحقل الثقافى والأدبى والفنى .
- له خمس مجموعات قصصية ورواية ومسرحية وكتاب فى النقد .
- ساهم مع غيره من الكتاب فى إرساء المذهب الواقعى للقصة فى العالم العربى .
- حصل على جائزة الدولة فى القصة القصيرة ، ووسام الفنون والآداب عام ١٩٧٦ .
- كتب رواية عن تجربة السنوات الأخيرة . حيث كان يعالج بالكلى الصناعية منذ ثمانى سنوات ، ثم أجريت له زراعة كلية .
- نشر قصصه فى معظم الصحف والمجلات العربية
- توفى فى ٢٦ نوفمبر عام ١٩٨٣ .

... مؤلفات للكاتب ...

« مجموعات قصص »

١ ـ الديك الأحمر ، صدرت عام ١٩٦٠
٢ ـ زائر الصباح ، صدرت عام ١٩٦٤
٣ ـ أحزان الربيع ، صدرت عام ١٩٦٧
٤ ـ آدم الصغير صدرت عام ١٩٧٣
٥ ـ عابرو سبيل ، صدرت عام ١٩٧٥

* * *

٦ ـ المطرود ، مسرحية من ثلاثة فصول ، صدرت عام ١٩٦٩
٧ ـ دراسات أدبية معاصرة ، صدر عام ١٩٦٦
٨ ـ آدم الكبير ، رواية ، صدرت عام ١٩٧٩

.. تحت الطبع ..

أيام الأمل ـ رواية طويلة .

رقم الإيداع : ٨٧/٥٧٨٢
الترقيم الدولى : ٦ ـ ١٢٦ ـ ١٤٨ ـ ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف : ٧٧٤٨١٤ ـ ٧٧٤٥٧٨ ـ برقيا : شروقا ـ تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣ ـ برقيا : داشروق ـ تلكس : SHOROK 20175 LE